روايات غادة

غادة

بوجينا فاغنر

الاختطاف

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للملايين

بيروت - لبنان

غـــادة

بوجينافاغنز

الاختطاف

بكل تأكيد الشيء الأكثر هولاً الذي يمكن أن يحدث لأية امرأة يجب أن يكون اختطاف طفلها - وفي الحقيقة كان بدون شك هو أسوأ شيء حدث لماريزا؛ تلك اللحظة عندما خرجت من الدكان لتجد أن الطفل جيمي قد تلاشى ستكون دائماً شعوراً أشبه بنهاية كل شيء. بالنسبة الى معظم النساء في ذلك الوضع الرهيب، مع أنه، سيكون على الأقل سيكون بعض الراحة مدعوماً بحب أزواجهن - لكن بالنسبة الى ماريزا يعني فقط أنه قد أعاد اليها زوجها غابرييل البغيض على المشهد؛ أي آخر شيء أرادت حدوثه. لأن لا شيء تغير في السنتين منذ شاهدته لآخر مرة؛ نفس الهوة ما زالت تفصل بينهما. وفي نفس الوقت - أين جيمي؟.

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الطلمي للنشر والتوزيع
تلفون ٢٧٢٧٨٩٩

توزيع في لبنان
وكالة المطبوعات اللبنانية
٣١٨٣٠١

www.elromancia.com

- ١ -

كان الرصيف مزدحماً بالمتسوقين المتدافعين المحملين بالرزم. خارج المكتبة في وسط الشارع الكبير، مجموعة من الأطفال بوشاحات وقبعات صوفية كانوا يغنون تراتيل عيد الميلاد بواسطة مشاعل بينما كان أحدهم يجمع المال من العابرين، ويهز علبته التنك بكل أمل تحت أنوفهم. سماء بعد الظهر المتأخر كانت تبدو مهددة. درجة الحرارة كانت قد هبطت خلال الليل وماريزا اعتقدت عندما نظرت الى السماء القاتمة بأنها لن تفاجأ لو سقط الثلج.

كان جيمي متعباً وجائعاً. كانا في طريقهما الى البيت بعد مشوار في الحديقة. سارت ماريزا

بسرعة، قوامها النحيل ملفوف بدفء في معطف من الجلد الذي ما زال يبدو باهظ الثمن رغم أن عمره الآن كان ثلاث سنوات. معظم نقودها كانت تصرفها على ثياب لجيمي. لم تكن قادرة على تحمل شراء معطف شتوي جديد لها.

أشار جيمي فجأة الى واجهة محل، وهو يصرخ ويدفع نفسه في كرسيه الجرار. توقفت ماريزا، وابتسمت، لكي تتأمل شجرة عيد الميلاد التي لفتت نظره.

«جميلة، اليس كذلك؟» سألت، وانحنت لتبتسم له.

«جا.. ميلة» قال جيمي. كان قد بدأ بالتكلم، لكن لغاية الآن كانت كلمات معجمه صغيرة، وغير مفهومة، وهكذا كان على ماريزا فقط أن تتمكن من فهم ما كان يقوله.

تذكرت ماريزا بأنها وعدت بأن تحضر الى سالي بعض الكعك، فهرعت الى دكان على بعد بابين وأوقفت الكرسي الجرار.

«لن أغيب أكثر من دقيقة، يا عزيزي» وعدت جيمي، الذي شفته السفلى بدأت ترتعش. أطلق عليها نظرة اتهام.

«رديء» كانت احدى كلماته المفضلة لأنها كانت واحدة من الكلمات التي يفهمها.

«أنا أعرف» قالت مبتسمة. «سأسرع» هرعت الى الدكان.

سالي نادراً ما طلبت منها القيام بأي شيء وهي دائماً جعلت ماريزا تشعر بالأفضل للقيام بشيء ما مقابل اللطف الذي تقدمه لها ولجيمي.

كانت في عجلة من أمرها لدرجة أنها ارتطمت بسيدة ما، وأوقعت كل رزمها على الأرض.

«آسفة» شهقت، وانحنت تلتقطهم.

المرأة النحيلة اختطفت أغراضها وابتعدت. لا شك أنها كانت متعبة وغاضبة، مثل جيمي. كان عيد الميلاد موسم ارهاق. ماريزا اعتذرت لها من جديد، لكنها فقط تلقت نظرة باردة.

«أوه، يا عزيزتي» قال الخباز عندما ذهبت الى المنصة: «شخص ما كان في مزاج سيء».

ابتسمت له ماريزا وطلبت ما تريده من الكعك، وراقبته وهو يضعه في علبة من الكرتون التي ربطها عندئذ بخيط بحيث تستطيع ماريزا حملها بدون اشكال.

«أنا كنت مشغول طوال النهار. الشيء الجميل

www.elromancia.com

هو أن عيد الميلاد يأتي مرة في السنة» قال الخباز ببشاشة.

«أنا أحب عيد الميلاد» أخبرته ماريزا بحزم، وهو غمزها: «هذه هي الفاتورة!».

ناولته النقود وانتظرت ليعيد لها الباقي، ونظرت الى نفسها في المرآة خلفه. تورد وجهها بالهواء البارد، وعيناها الزرقاوات براقتان جداً. شعرها الأسود الطويل الذي يكون عادة معقوداً الى الوراء قد تشعث وكان يهب حول وجهها. احدى الألعاب المفضلة لجيمي كانت العبث بشعرها، وهو يضحك.

لثانية فقط نظرت بذهول الى البقعة التي تركت فيها جيمي. عندئذ نظرت خلفها في حال هي وضعت الكرسي الجرار على الجانب الآخر من مدخل الدكان. لقد كان فقط عقلها المصدوم قد استوعب حقيقة أن الكرسي الجرار كان غير منظور في أي مكان لدرجة أنها شعرت بأن قلبها قد أخذ يترنح بهلع.

ركضت الى الزاوية ومن ثم عادت من جديد في بحث سريع مشوش. كل اللون ترك وجهها وكانت ترتعش. كانت لديها فكرة مذهولة بأنها ربما تركت

جيمي خارج الواجهة التي لفتت انتباهه من قبل، وهكذا ركضت عائدة الى هناك ونظرت الى الزينة، والشجرة الطويلة وأضوائها الملونة المتلألئة.

«أوه، لا» قالت لنفسها بصوت مرتفع: «جيمي!» عقلها لم يكن قد بدأ فعلاً بالتفكير. كانت فقط تتفاعل، وتحاول اقناع نفسها بأنها قد ارتكبت غلطة، بأن هذا لم يحدث.

كان الناس ينظرون اليها وهم يمرون مسرعين، معترفين بأنها كانت تتصرف بشكل غريب. نظرت حولها، وما زالت تردد اسم جيمي، كأنها تتوقع أن ترى الكرسي الجرار وذلك الوجه الصغير المتورد العابس.

كان شرطي يتقدم بخطوة نظامية هادئة نحوها عبر الجماهير. ركضت ماريزا نحوه، ونسيت الكعك الذي وقع من يدها وداسته تحت قدميها في ثانية سيدة مذعورة في قبعة حمراء.

تمسكت بذراع الشرطي، وصرخت ماريزا بصوت مرتعش: «طفلي.. شخص ما قد أخذ طفلي!».

من تحت خوذته تأملها في هلع: «أين تركت الطفل، يا مدام؟».

www.elromancia.com

«هناك» قالت ماريزا، وأشارت نحو دكان الكعك. «في الخارج، كنت أشتري الكعك».

«هل هذه لك؟» السيدة ذات القبعة الحمراء ناولتها العلبة المهروسة بنظرة نصفها فضولي ونصفها عتاب: «أنا آسفة، لقد دست عليها بدون أن أراها».

أخذتهم ماريزا مذهولة، وهي ما زالت تحدق الى الشرطي: «أنا كنت فقط هناك لدقيقة، فقط دقيقة واحدة».

«متى كان هذا، يا مدام؟».

«الآن فقط» كان هلع ماريزا يزداد. شعرت بأنها ترغب بالصراخ لتجعله يقوم بعمل ما: «لا يمكن أن يكونا قد ذهبا بعيداً. أنا كنت هناك فقط لدقيقة. أنا لا أستطيع أن أجده!» نظرت بعيداً، محاولة أن ترى شيئاً ما غير الأشخاص المسرعين. كان هناك كرسي جرار. قفز قلبها عندما شاهدت طفلة صغيرة فيها: «أرجوك، افعل شيئاً ما! شخص ما قد أخذه بعيداً. ه ما لم يتمكنا من الابتعاد» لقد كان التفكير الرئيسي في عقلها. كائناً من كان الذي أخذ جيمي يجب أن يجره على طول الشارع الرئيسي لو فقط تستطيع أن تراهما.. لكن في أي اتجاه؟ أين هما؟.

كان الشرطي يتحدث بجهازه اللاسلكي. نظر اليها بعطف، ووجهه الناعم كان هادئاً: «لقد أرسلوا سيارة. الأمر لن يستغرق طويلاً. سنتجول حول المكان وربما شاهدنا الطفل. الآن لا تقلقي، يا مدام. كوني هادئة، سنجد طفلك».

السيدة ذات القبعة الحمراء كانت قد انضمت الى زوجها، كانا يستمعان بدون خجل، ويحدقان الى ماريزا.

«أعتقد بأنه لم يكن معك شخص ما؟» سألت السيدة: «أنت لا تعتقدين أن صديقة ما قد جرت الطفل الى مكان ما وستعود في أية دقيقة؟».

«لا» قالت ماريزا.

«هل كان أحد ما معك، يا مدام؟» سأل الشرطي.

هزت رأسها بالنفي. عيناها الواسعتان الخائفتان ظلتا تفتشان الشارع. كان قلبها يتسارع في صدرها؛ يداها كانتا باردتين ومتشنجتين. لقد كان كابوساً، لم تشاهده منذ سنوات ومن الذي هربت، لكنه هنا كان في الواقع. ربما أنت لا تستطيع أن تهرب من أي شيء.

«هل لديك صديقة ربما شاهدت الكرسي الجرار

www.elromancia.com

وأخذت الطفل لمسافة قصيرة على طول الشارع؟» سأل الشرطي.

«من الذي سيفعل مثل هذا الشيء؟» تمتمت ماريزا.

«الناس لديهم نوع مضحك من المزاح» أخبرها الشرطي بجفاف.

كان هناك أُناس آخرون يقفون بجانبهم الآن، يستمعون ويراقبون بفضول غريب. كان جمهور قليل يتشكل، وماريزا سمعت قادمين جدد يسألون: «ما الأمر؟» وسمعت أناساً يقولون: «شخص ما أخذ طفلها».

صفارة تنبيه ولولت، وسيارة الشرطة كانت تسرع على طول الشارع الرئيسي باتجاههما. سيارات أخرى توقفت على جانب الطريق والعربة السوداء توقفت. ذهب الشرطي وتحدث الى الرجل الذي يقودها، ثم أشار الى ماريزا. صعدت الى الخلف والسائق التفت وأطلق اليها ابتسامة مطمئنة.

«سنقود أولاً في طريق واحد على طول الشارع. ثم نستدير ونعود الى الطريق الآخر. استمري في النظر واذا لمحت الطفل أطلقي صرخة الينا».

كانت هناك ضابطة شرطية في الخلف بجانبها.

كان لديها دفتر ملاحظات في يدها وهي ظلت توجه أسئلة الى ماريزا. وبينما هي تحدق بيأس خارج النافذة، عيناها تتألمان وهي تحاول أن ترى كل شيء يتجاوزونه، وماريزا تجيب على الأسئلة.

«يرتدي معطف كريم وقبعة صوفية بنية. نعم، قفازان، لكنه كان دائماً ينزعهما. هما مخاطان الى ذراعي المعطف».

«البنطلون؟».

«بني» وافقت ماريزا.

«ماذا عن الحذاءين؟».

«حمراوان. لكنه يخلعهما أحياناً. وكذلك جواربه» كانت لدى جيمي رغبة بنبذ الثياب. أحياناً عندما كانت تدخل الى دكان وتتركه في الخارج كانت تعود لتجد الحذاءين والجوارب على الرصيف.

استدارت السيارة وكانت تعود ببطء من الطريق الآخر. حدّقت وحدّقت حتى تألم رأسها، لكن لم يكن هناك من أثر لجيمي.

«ماذا سأفعل؟ أين يمكن أن يكون؟» ظلت تقول.

«ماذا عن زوجك؟» سألت الضابطة الشرطية.

اشتد وجه ماريزا: «ليس عندي زوج».

المرأة نظرت اليها بسرعة. السائق نظر اليها في المرآة فوق رأسه.

«ألست متزوجة؟».

ترددت ماريزا. كانت تحدق خارج النافذة. بعد لحظة سألت المرأة من جديد: «أنت لست متزوجة الآن؟».

«نحن منفصلان» قالت ماريزا.

شعرت بتغير في الجو: «هل يمكنك اعطائي اسم وعنوان زوجك؟» سألت المرأة.

«لا» قالت ماريزا.

كانت تفكر بصعوبة. لو هي أخبرتهم فهم سيتصلون به، ولسنتين كانت ماريزا تتهرب منه. لن تسمح له بالتدخل في حياتها من جديد.

«أخشى بأنه يتوجب علينا أن نأخذ اسمه وعنوانه» اخبرتها المرأة بلطف.

هزت ماريزا رأسها: «قد يكون زوجك أخذ الطفل. ألم يخطر ذلك ببالك؟» قالت المرأة.

ماريزا ابتسمت نصف ابتسامة، لكن حركة فمها كانت ساخرة وبدون مزاح حقيقي: «لا».

«قد يكون هو فعل ذلك» حرضتها المرأة: «انه

كثيراً ما يكون الأب في هذه الحالات، صدقيني، خاصة اذا كانت هناك مشكلة».

«لا» كررت ماريزا. في كل مرة كانت تشاهد فيها كرسياً جراراً كانت تشعر بقلبها يتوقف، وعيناها تحدقان حتى كل شيء يبدو بأنه يذوب أمامها، لكنه لم يكن جيمي، من الواضح أنه قد اختفى عن وجه الأرض.

«نحن فقط نريد أن نساعدك، يا عزيزتي. يجب أن نأخذ اسم وعنوان زوجك من أجل ملفاتنا، أتفهمين، وبعد كل هذا، يجب اعلامه. انه والد الطفل».

كان هناك صمت، ثم مع نظرة سريعة، سألت المرأة: «هو الأب، على ما أظن؟».

قالت ماريزا بمرارة: «أوه، نعم لكنني لا أريد اعلامه» كان هناك الكثير هي لا تستطيع أن تقوله. آخر شيء هي أرادته في العام كان أن يعرف غابرييل أين هي. حتى في هلعها المريع أبعدت ذلك التفكير. يجب أن يخبروا غابرييل.

توقفت السيارة وتطلعت الى الخارج: «أنت ابق في السيارة، يا عزيزتي» قالت الشرطية عندما تحركت، ويدها أرست ماريزا في مقعدها عندما

www.elromancia.com

أدركت أين كانوا.

خرج السائق وصعد عبر الممر. راقبته ماريزا وهو يقرع على الباب. فتحت سالي الباب وحدقت اليه، ثم تجاوزته ونظرت الى السيارة، وجهها المستدير الحساس كان حائراً. تحدث الشرطي وتقدمت سالي الى الأمام، وبدت خائفة. أوقفها الشرطي، وهز رأسه.

«نحن نتحقق فقط لرؤية اذا كان الطفل قد عاد» قالت الشرطية لماريزا: «هل هي قريبتك؟ والدتك؟».

«انها ربة عملي» أجابت ماريزا بخمول: «أنا أعمل عندها».

«ماذا تعملين؟».

«سالي تدير وكالة للاستخدام. أنا أقوم بالعمل السكريتاري لبعض الوقت».

نظرت المرأة الى المنزل الريفي الأنيق المنفصل تقريباً. «لكن هل تسكنين هنا؟».

«عندي شقة فوق المرآب» اذا كل هذا لم يحدث لكانت هي هنا الآن، تعطي الشاي لجيمي بينما هو يلعب في كرسيه المرتفع ويطرق بمطرقته المطاطية.

استطاعت ماريزا أن تشاهد سالي تتحدث. كان

الشرطي يكتب أشياء في دفتر ملاحظات. ماذا كان يسأل؟ ماذا أخبرته سالي؟ ليس لدى سالي الكثير لتقوله. ماريزا لم تبح لها بالحقيقة. كانت محظوظة بلقاء سالي عندما دخلت الى مكتبها وطلبت وظيفة. كانت سالي لطيفة. لم تدرك بأنها حامل الا بعد شهر وعندئذ أصيبت بالصدمة والهلع، لكن سالي خففت عنها.

«يجب أن تخبري زوجك، يا ماريزا» قالت لها سالي بلطف، وماريزا شحب وجهها. مهما حدث، يجب أن لا يعرف غابرييل.

عاد الشرطي، وكانت سالي معه. نظرت الى ماريزا عبر النافذة: «هل أنت على ما يرام؟».

أطرقت ماريزا برأسها، وهي ترتعش.

«أنا متأكدة بأنهم سيجدونه» سالي لم تكن تدري بوضوح ماذا تقول. كانت متكدرة مثل ماريزا. في البداية كانت ماريزا خائفة بأنها كانت تضيف مشاكل سالي، لكن سالي أخبرتها بابتسامة بأنها جعلت حياتها أسهل.

كانت سالي تحب جيمي كثيراً. لم يكن لديها أطفال وضربة زوجها أخافتها، ووضعتها وجهاً لوجه حول امكانية مستقبل فارغ موحش. قدوم جيمي الى

www.elromancia.com

حياتهما أعطاهما زخماً جديداً للحياة. كل من سالي وجو أحبا الاعتناء به لمدة ساعة أو أكثر، وكانا يتوسلان لماريزا بالخروج بحيث يستطيعان قضاء وقت قصير مع جيمي.

سالي نظرت الى يديها وماريزا أدركت أنها ما زالت ممسكة بعلبة الكعك المهشمة. قدمتها الى سالي: «آسفة، لقد داسوا عليها».

«أوه، يا عزيزتي!» تعجبت سالي، والدموع انهمرت من عينيها. مسحتهم ونظرت الى الشرطية: «هل يمكنني المجيء معها؟».

«من الأفضل أن تمكثي هنا» قالت المرأة: «في حال أعاده شخص ما».

«يجب أن يكون شخص ما معها» قالت سالي.

«نحن سنهتم بها».

ماريزا أرادت بأن تأتي سالي، لكن كان هناك جو. لا يمكن أن يترك وحيداً. وشخص ما قد يعيد جيمي الى البيت. انها قد تكون غلطة.

«اذا كنت تحتاجينني، يا حبيبتي» قالت سالي، ومدت يدها عبر النافذة المفتوحة لتلامس ذراعها.

«نعم، أشكرك» ماريزا شاهدت الدموع في عيني سالي وتمنت لو تستطيع البكاء. أرادت، لكن

الدموع تجمدت خلف عينيها. لم تنهمر أو تريح هذا الخوف المريع.

أسرعت السيارة مبتعدة والشرطية قالت: «سنجده، لا تقلقي. ربما امرأة وحيدة استعارته، لكنها ستعيده. سيكون على ما يرام. أتوقع بأن يكون موضع عناية الآن. ذلك ما يحدث عادة. الشخص الذي يفقد طفلاً يشعر بقليل من اليأس ويرتكب عملاً أحمق. صديقتك كانت على حق. كوني عاقلة، يا عزيزتي، وأعطنا اسم وعنوان زوجك وسنتصل به ومهما كنتما متخاصمين، فهو سيأتي، وسيكون قلقاً مثلك. على كل حال، هو طفله أيضاً».

ماريزا لم تجب. حدقت خارج النافذة على المحلات المضاءة بزينة عيد الميلاد. ما زالت الشوارع مكتظة بالناس، الذين كانوا يتزاحمون على الأرصفة.

«ستخبريننا عاجلاً أم لاحقاً» قالت الشرطية بصوت حاد.

استدارت السيارة نحو مركز حديث للشرطة وتوقفت. الشرطية لمست ذراع ماريزا. «انزلي هنا، يا حبيبتي».

www.elromancia.com

نزلت ماريزا من السيارة. ساقاها كانتا ترتعشان. تعثرت والمرأة الأخرى ساندتها، ونظرت الى وجهها الشاحب.

«ان ما تحتاجينه الآن هو كوب من الشاي. سأعد واحداً لك بنفسي».

ابتعدت السيارة وماريزا سمحت للمرأة بأن ترشدها الى مركز الشرطة. رقيب خلف مكتب حدق اليها وبعد دردشة من التشاور تم تحويل ماريزا الى غرفة انتظار صغيرة. جلست طائعة بدون كلمة والشرطية جلست أيضاً. «سيحضرون لنا بعض الشاي خلال دقيقة. سأكرر ما قلته لي، فربما نسيت بعض الأشياء».

«انني أشعر بالغثيان» قالت ماريزا، وبلعت ريقها. نهضت والمرأة أرشدتها بسرعة الى غرفة التواليت الصغيرة. تمايلت ماريزا، والعرق البارد تصبب من جبهتها. كان جسمها كله بارداً كالثلج: التقيؤ خرج في موجات.

سمعت الشرطية تتحدث في غرفة أخرى وبعد أن غسلت وجهها بالماء البارد عادت. كان هناك كوب من الشاي على مكتب غير مصقول. جلست ماريزا وحملت الكوب، دفء الكوب وصل اليها من

السائل الساخن عندما حملت الكوب بكلتا يديها، وارتشفت منه، وهي تتكيء على المكتب، مرتجفة.

«أنا خائفة» همست لنفسها تقريباً: «انه صغير».

كان جيمي هو كل ما لديها في هذه الدنيا. لا تستطيع أن تتخيل الحياة بدونه. انه ليبدو مستحيلاً أنه منذ سنتين فقط لم يكن جيمي موجوداً. حاك نفسه في حياتها، في قلبها، وقد تصاب بالرعب عندما تحاول أن تفكر بما قد يكون حدث له.

«نحن نبحث عنه» طمأنتها الشرطية: «لا تفكري بأي شيء عدا كيفية مساعدتنا للعثور عليه. أنا لا أريد أن أضغط عليك، لكن يجب أن نحصل على اسم الأب».

شربت ماريزا قليلاً من الشاي. لقد حرق حلقها، لكنه فعل شيئاً ما لتخفيف برودة بشرتها.

«كم هو عمرك، يا عزيزتي؟» حاولت الشرطية طريقاً آخر الآن.

«ثلاثة وعشرون» أجابت ماريزا. شعرت بأنها أكبر بكثير. شعرت بأنها حوالي المائة. بدت بشرتها مشدودة جداً على عظامها. تؤلمها عندما ضغطت عليها، وجهها شاحب كله زوايا وخطوط حادة.

«أين كنت تقيمين قبل مجيئك الى هنا؟».

«أنا من لندن» قالت ماريزا: «لقد عشت دائماً هنا».

«أية منطقة؟».

«في كل أنحاء لندن» كانت ماريزا طفلة فقط. كان والداها مندفعين لا يستقران في مكان يتنقلان طول الوقت. لم تعش طويلاً في أي مكان، تتنقل باستمرار الى مناطق جديدة، ومدارس جديدة، وتجد صديقات جديدات لكنها دائماً تفقد القديمات. كرهت التغيير الدائم الذي صنع حياتها. كانت تشتاق الى بيت دائم ومستقر، وهي لم تحصل عليه.

حدقت الشرطية اليها بعين الاتهام. كانت امرأة شابة في سن ماريزا، قوية البنية وحساسة، وعينين عسليتين: «أنت تريدين مساعدتنا لايجاد طفلك اليس كذلك؟».

«بالطبع أريد» قالت ماريزا بصوت عال مرتعش. «لكن أية مساعدة تكون لك لمعرفة أين كنت أعيش قبل المجيء الى هنا؟».

«انها قد تساعدنا لمعرفة أي شيء عنك» شرحت المرأة: «قد يكون الطفل أخذ بواسطة شخص ما

يعرفك، شخص ما من حياتك الماضية. زوجك».

«لا» قالت ماريزا.

اتكأت المرأة في كرسيها ولعبت بقلمها، وطرقت عل المكتب: «قد نبقى هنا لفترة» قالت: «هل تمانعين اذا ناديتك ماريزا؟ انه اسم جميل.. غير عادي. هل كان هو اسمك عندما كنت طفلة أو أنك اخترته لنفسك؟» ابتسمت وهي تسأل ذلك، وقد أصبحت متوددة، تحاول أن تريح ماريزا وتخفيف التوتر في الغرفة الصغيرة.

فتح الباب ودخل الغرفة رجل طويل هادىء. نظرت ماريزا اليه بحدة، بأمل، مع خوف.

«هل هناك أي خبر؟».

أطلق اليها ابتسامة هادئة وقال: «ليس بعد. لا تقلقي، يا سيدة رادلي».

نهضت الشرطية وذهبت الى الباب. جرى حديث هامس بين الاثنين. حدقت ماريزا اليهما ونظرت الى الساعة. ساعات، هي هنا لساعات، الوقت يمر ولم يحدث شيء سوى أسئلة، المزيد والمزيد من الأسئلة. هل هم يبحثون عن جيمي؟ ماذا كانوا يفعلون؟.

«يجب أن تأكلي» أخبرتها الشرطية: «أنا نفسي

جائعة. لقد مكثت هنا لساعات. يجب أن تكوني جائعة».

هزت ماريزا رأسها. لا تستطيع أن تأكل شيئاً لتنقذ حياتها. معدتها كانت خاوية وتئن. ستتقيأ من جديد حتى لو اشتمت رائحة الطعام.

«تناولي كوباً آخر من الشاي، على الأقل» حثتها، فقبلت بإلحاح.

«هل ترغبين في الاستلقاء لفترة؟» راقبتها الشرطية وهي تشرب الشاي، ملاحظة الشحوب، والبقع الداكنة تحت عينيها.

ماريزا لا تستطيع أن تستريح، كانت على أعصابها كأنها في خطر مميت.

«أنت على الراديو. انهم يذيعون نداء لأي شخص شاهدك أو شاهد جيمي لكي يحضر الى هنا».

اهتز جسم ماريزا فجأة، ووقفت تنظر الى المرأة: «يذيعون؟ اسمي» ذلك لم يحدث لها لغاية الآن. اسمها يذاع، ويتردد على الراديو عبر أنحاء لندن؟.

حائرة، قالت الشرطية: «الصحف المسائية تلقفت القصة أيضاً. لقد استطاعوا التقاط صورة لك

من السيدة التي تعيشين في منزلها..».

تمايلت ماريزا، وأسقطت رأسها ليرتاح على الطاولة. أسرعت الشرطية نحوها: «هل أنت بخير؟ ماذا جرى؟».

سبحت ماريزا في بحار ضبابية، وغطس عقلها تحت أمواج الصدمة الباردة كالثلج. حتى أنها لم تكن واعية بوجود المرأة الأخرى. كان جسمها كسيحاً، وبشرتها مرطبة بالعرق.

«يجب أن تتمددي، يا عزيزتي» أخبرتها الشرطية، وانحنت فوقها. «هل أحضر لك طبيباً؟ هل أصبت بالاغماء؟».

كافحت ماريزا لتتمالك نفسها من الظلام الذي كان يهدد بتغليفها. كان عليها أن تفكر، لتقرر ماذا ستفعل. لا تستطيع أن تترك الأمور تسير على هذا المنوال، لأن عليها أن تفسر الأشياء.

أرغمت نفسها على الوقوف منتصبة، وجسمها النحيل يرتجف، وعظام وجهها الشاحب كانت بادية تحت بشرتها.

«أنا بخير» همست.

الباب خلفها فتح فجأة والشرطية تطلعت حولها. صوت غاضب كان يرتفع: «لا يمكنك الدخول

هناك!».

رجل ملأ المدخل، ورأسه الأسود كاد يلامس قمة اطار الباب كان يرتدي معطفاً ثميناً مفتوحاً. الوشاح المسائي الحريري الأبيض كان يهب عبر طقمه المسائي الداكن وهو يتقدم. كان وجهه قاسياً وقوياً، وفمه المستقيم قاس جداً. استوعبت الشرطية تفاصيل ظهوره المفاجيء. كان يحدق بعينين ثابتتين الى ماريزا، التي كانت لا تزال غارقة قليلاً في الكرسي.

تطلعت حولها، نصف خائفة مما قد تراه، كأنها شعرت فجأة بالوجود الجديد في الغرفة حتى في حالة ذهولها.

شفتاها البيضاوان انفرجتا: «لا!» همست.

عندئذ سقطت جانباً عن الكرسي في اغماء مميت.

شعرت ماريزا كأن هناك أوزاناً رصاصية على جفنيها. كافحت لكي ترغم عينيها على الانفتاح، وجفلت للألم الضارب داخل رأسها. لم تستطع أن تتذكر أين هي كانت، ووجدت الضوء القوي للغرفة الصغيرة متطفلاً كلما ومض على بصرها. كانت راقدة على سرير صلب. الحائط المواجه لها كان

مدهوناً بالكريم، واللون الكئيب للطابق كان مكدراً بشكل غريب.

أدارت رأسها ببطء والتقت بعينين خضراوين مراقبتين، على الفور استيقظ عقلها وتذكرت.

«أوه، يا الهي» تمتمت، ونظرت بعيداً.

«أرقدي ساكنة» كان الصوت صارماً. الالفة الرهيبة لتلك النغمة القاسية العميقة هبطت اليها. كان احساساً هي كانت بعيدة جداً عنه.. هذا ضعف مرير عاجز.

للحظة رقدت هناك، مرتعشة، راضية بأن هربها قد انتهى. لقد وجدها غابرييل. عرفت أنه سيفعل من اللحظة التي أدركت فيها أن صورتها قد نشرت في الصحف. لم تتوقع أن يكون قدومه هكذا سريعاً. أم هل أن الوقت مضى لدرجة أنها لم تعد تعرف ما هو الوقت الآن؟ كم مضى على وجودها هنا؟ كم مضى على ضياع جيمي؟.

«جيمي» قالت بصوت أجش، والتفتت اليه ثانية. عيناها كانتا مجهدتين وغارقتين بالدموع: «هل هناك أية أخبار؟ هل وجدوه؟».

«ليس بعد» قال: «لكنهم سيجدونه، لا تقلقي».

«لا تقلقي؟ كيف يمكنك أن تقول لي لا تقلقي؟

www.elromancia.com

انني على وشك أن أفقد عقلي!».

«أنا أدرك ذلك، لكن يجب أن تصدقي بأنهم سيجدونه. يجب أن لا تسمحي لنفسك بالتفكير عكس ذلك».

«ألا يجب أن أفعل؟» ضحكت بدون مرح، وفمها يرتجف. «ما الذي تعرفه عن ذلك؟ أوه، أن تفكر بأنك تستطيع فقط أن تأمرني بأن لا أقلق، وأن لا أفكر بأي شيء محظور. عقلك مرتاح، أنت لست من البشر. أنت مجرد آلة، كومبيوتر، مبرمج لطباعة ما هو مطلوب، دون أن تكون لديك أية فكرة لم تبرمج، أفكار بشرية صغيرة عادية كالحب أو الخوف أو الهلع».

«أنت هيستيرية» قال وقد تقوس حاجباه السوداوان عبر جبهته. «لقد أحضروا طبيباً... الله يعلم لماذا لم يحضروا واحداً من قبل. ما الذي كانوا يفعلونه لك؟ هل تركوك في تلك الغرفة وأمطروك بالأسئلة في هذه الحالة؟».

«لماذا كان عليك أن تأتي؟» التفتت ماريزا بعيداً، وتنهدت بعمق وجسدها النحيل يتلوى: «لماذا لم تبق بعيداً؟ أنا أستطيع التعامل مع أسئلة الشرطة، لكنني لا أستطيع التعامل معك».

«هذا سيء للغاية» تمتم بكآبة: «أنا زوجك. أنا لي الحق بأن أكون معك».

«حق! هذا هو كل ما تفهمه!».

«أنا أفهم أكثر من ذلك بكثير» أخبرها غابرييل، وعيناه على وجهها المضطرب: «أن أفهم أن لي ابناً لم أره حتى ولا أعلم بوجوده».

سحبت ماريزا نفساً مرتعشاً ولم تجب. عيناها رفرفتا بقلق، بدون أن تلامسا قوامه القوي، وجالتا حول الغرفة مثل شيء ما يبحث عن مكان اختباء آمن.

«كيف تجرأت على ولادة طفلي بدون أن تخبريني؟» سأل بفظاظة: «أليس لي الحق بأن أعرف أن لدي طفلاً؟».

أغلقت فمها، لم تجب، ولم تنظر اليه، توتر جسمها على السرير، وحاولت ايقاف الارتعاش في أطرافها.

«أظن أن عمره ١٨ شهراً. يجب أن تكوني مدركة بأنك كنت حاملاً عندما هربت مني».

لم تفه ماريزا بكلمة. كانت تحاول جاهدة لتستمع الى ما كان يقوله. هي لا تريد التحدث اليه.

www.elromancia.com

«هل هو طفلي؟» ازداد صوته وحشية، وبدون احساس.

مال رأسها بدافع انعكاسي: «نعم!».

جسم غابرييل الشديد استرخى وهي فجأة تمنت لو لم تجب، وتمنت لو كذبت عليه. تكلمت بدون تفكير، لكنها رأت الآن أنه قد يكون من الأفضل أن تخبره بأن جيمي لم يكن طفله. لماذا لم تفكر بذلك؟.

مال غابرييل نحوها، ويداه العصبيتان توترتا على ظهر الكرسي التي جلس عليها. «ما هو شكله؟» كان صوته أجشاً والعينان الخضراوان كان لهما بريق عاطفي خادع.

فتح الباب ودخلت الشرطية يتبعها رجل قصير، بدا متعباً. «الطبيب، يا سيدي» قالت الشرطية بمودة أخبرت ماريزا أنها عرفت الآن من يكون غابرييل. حتى الآن كانت الشرطة تعامل ماريزا بارتياب مؤدب هادىء، لكنها عندما نظرت الى الشرطية أطلقت عليها ابتسامة فضولية عصبية.

لا شك أنها كانت مفترسة بالفضول. غابرييل لم يكن بحاجة ليشرح نفسه لأحد. وقف، والطبيب أمامه كالقزم، وكتفاه العريضان متوتران.

«هل يمكنك اعطاءها أي شيء لتهدئتها؟ هي في حالة هيستيرية. كان يجب اعطاءها علاجاً ما منذ فترة طويلة. لقد كانوا يشوونها مثل مشتبهة قاتلة عندما هي بكل وضوح في حالة من الصدمة المريعة».

«أنا لا أريد أي شيء» قالت ماريزا، بعد أن جلست، وشعرها الأسود المنفوش يتدلى على كتفيها.

خلع الطبيب معطفه وأطلق عليها ابتسامة خفيفة، وأمسك معصمها بين اصبعه والابهام: «هذا كله قليل من الاجهاد، اليس كذلك؟ هل تناولت أي شيء؟ لا أقراص؟».

هزت رأسها: «أنا لا أريد أي تخدير. لن أتناول أية أقراص» أرادت أن تعرف ما يحدث. ان هم أعطوها مخدراً ستعوم في سحابة رمادية غير متبلورة ولن تكون متأكدة مما يدور حولها، ويجب أن تبقى صافية الذهن قدر المستطاع.

«كيف تشعرين؟ متعبة قليلاً؟ رفع أحد حاجبيها، وأضاء النور في عينيها. «انظري الى فوق، هل يمكنك؟ جانبياً؟».

أطاعت ماريزا، وتألق من التهيج جعل عينيها

تومضان. أنا تماماً على ما يرام» أصرّت.

وقف غابرييل بدون حراك، واضعاً يديه في جيوبه. الآن قال: «هل يمكن نقلها؟ هل يمكنها أن تغادر من هنا؟ هي ليست موضع اشتباه حيال أي شيء. في هذا المحيط هي لن تشعر بالراحة».

نظر الطبيب الى الشرطية. هزت كتفيها. سأل غابرييل: «هل أستطيع استدعاء المحامي لمعالجة الموضوع؟».

انسحبت الشرطية بدون كلمة. نظر غابرييل الى ماريزا بقلق. «دعي الطبيب يعطيك شيئاً ما لتهدئة أعصابك».

«أعصابي بخير».

«لا تكوني هكذا عنيدة».

«أعتقد بأن أعصابك أنت بحاجة الى تهدئة» تمتمت ماريزا.

«سنخرجك من هنا» قال غابرييل الآن: «سنأخذك الى البيت ونضعك في السرير».

«تلك ستكون فكرة ممتازة» وافق الطبيب، رافعاً رأسه.

ضحكت ماريزا بسخرية: «اذا كنت تعني بالبيت منزلك أنت، فانسى الموضوع. أنا لن أعيش

هناك».

«اللعنة عليك!» صرخ غابرييل، والوميض في عينيه جعلها تتجمد.

استدار الطبيب وبدى يغلق حقيبته، وارتدى معطفه، كأنه يريد أن يوضح بأنه لم يكن مستمعاً.

«أنت لا تريدين البقاء هنا» ألمح غابرييل، ونظر في أرجاء الغرفة الصغيرة الكئيبة.

«سأعود الى شقتي ستكون مليئة بجيمي. ألعابه ستكون مصفوفة على الرف في غرفة نومه الصغيرة، سريره سيكون فارغاً. كرسيه العالي سيكون أمام النافذة. لكن لن يكون هناك جيمي» جفل قلبها بانقباض. كيف يمكنها أن تتحمل ذلك؟.

«لا تستطيعين» قال غابرييل بصوت قاس: «الصحافة تحوم حول المكان كالنمل. هَم سيأكلونك حية».

لاذت بالصمت، والتقت عيونهما: «هل يعرفون؟» استطاعت أن تسأل.

«ماذا تعتقدين؟» لوى فمه. السخرية بادية على ملامحه: «هناك مراسل صحيفة كان يحوم حول مركز الشرطة عندما دخلت.. سمعني أتحدث الى رقيب المكتب. كنت في الواقع أنوي أن أطرحه

www.elromancia.com

أرضاً لكي يبتعد. أنا لا أشك بأنه لا يزال يحوم حول المركز».

التفت الطبيب، وحقيبته في يده: «أخشى أن يكون ذلك صحيحاً، يا سيدة رادلي».

وضعت ماريزا يديها على وجهها. لا تستطيع العودة الى الشقة الصغيرة الهادئة فوق المرآب. يجب أن تكون سالي وجو يتعجبان حول ما أصابهما. تمنت عبثاً لو تستطيع أن تراهما، وتشرح لهما، وتعتذر.

«هناك فقط مكان واحد يمكنك أن تكون فيه آمنة» أخبرها غابرييل.

«آمنة؟» رددت ماريزا الكلمة، وأخفضت يديها.

تورد وجه غابرييل بغضب: «نعم» قال بصوت غليظ عميق: «آمنة تماماً».

«من الصحافة» ردت ماريزا، عيناها ساخرتان بمرارة.

«المشكلة هي.. كيف يمكننا اخراجها من هنا بدون أن تلمحها الصحافة؟» سأل غابرييل.

«بنفس الطريقة التي دخلت بها» اقترح الطبيب: «موقف سيارات الشرطة في المؤخرة. الصحافة لا تستطيع الوصول الى هناك.. هناك بوابات حديدية

ضخمة تبعدهم. يمكنكما ركوب السيارة من المؤخرة والخروج رأساً متجاوزين الصحافيين بدون أن يتمكنوا من الاقتراب منكما».

«أفضّل البقاء هنا» قالت ماريزا بيأس: «في حال..».

«لا يمكنك أن تفعلي شيئاً. اذا كان هناك أي خبر فإنه سيبلغ اليك رأساً. ستبقين على اطلاع تام، لا تقلقي» نظر غابرييل اليها بضجر: «لقد عرضت مكافأة لمن يقدم معلومات».

زمت شفتها السفلى، وجهها مكتئب بين الألم والسخرية. «المال» قالت: «بالطبع، ذلك هو كل ما تعرفه، اليس كذلك؟ انه جوابك الوحيد لأي شيء».

«المال قد يساعد!» حدق غابرييل اليها: «اذا كان المال سيساعد، فلماذا لا نجربه؟ انه ابني، حتى لو تمنيت أنه لم يكن».

«أتمنى لو لم يكن؟ انني سأتنازل عن الأرض كلها لأعرف أنه ليس ابنك» قالت ماريزا بصوت أجش.

اللون القاتم غمر وجه غابرييل: «أشكرك».

«ان سيارتي في المؤخرة، وأقترح أن نلفها

بشرشف أسود ونحملها الى سيارتي، ونخرجها من هنا بدون أن يلاحظ أحد ذلك. هيا لفها بهذا الشرشف وسأخرج لأصدر التعليمات الى سائقي، ثم أعود لمساعدتك على نقلها».

«أشكرك» قال غابرييل.

ابتسم الطبيب. «انها في الواقع لفائف سوداء، وليست شرشفاً» خرج الطبيب، وعاد بعد لحظات ليقول: «كل شيء على ما يرام».

وهكذا تم نقل ماريزا الى السيارة وتمديدها على المقعد الخلفي. انطلقت السيارة وأمامها سيارة شرطة تطلق صفارتها. كانت السيارة مسرعة. هي تكره السيارات السريعة وتكره السرعة.

توقفت السيارة، فأمسك غابرييل بكوعها وساعدها على صعود الدرجات: «يجب أن ترقدي أنت متعبة» من فوق كتفه أمر الخادم: «أرسل بعض العشاء الى غرفة نوم السيدة رادلي. شيء ما يكون خفيفاً».

كانت غرفة النوم كما تركتها. كل شيء كان في مكانه، محفوظاً بعناية. كان غابرييل قد زخرفها بعد زواجهما. كانت غرفته الى جانب غرفتها. الباب الموصل بينهما مفتوحاً، وهي نظرت اليه مع رنة

خوف حادة.

سار غابرييل وأغلقه وأدار القفل، وأخذ المفتاح. عاد وناولها اياه.

تورد مفاجيء لطخ خديها. أخذت المفتاح، وأدارت وجهها. أخرج قميص نوم شفاف وألقاه على السرير.

«اخلعي ثيابك ونامي» قال بدون أن ينظر اليها.

ماريزا لم تتحرك، رأسها لا يزال منحنياً، وتعبير عنيد على وجهها.

انتقل غابرييل الى الباب وفتحه من جديد: «سأعود بعد خمس دقائق» قال وخرج.

وقفت ماريزا هناك للحظة، وهي ترتعش. ذهبت ببطء الى السرير وتناولت قميص النوم. كان غابرييل قد تناول أول قميص وجده. ربما لا يتذكر أنه شاهدها فيه، لكن ماريزا تذكرت رفعت القميص الناعم في يديها، وحدقت اليه. لقد ارتدته في آخر ليلة نامت فيها مع غابرييل.

أغمضت عينيها، وضغطت يديها على قميص النوم. يجب أن تكون هي تلك الليلة التي حملت بها جيمي.

عاد غابرييل الى الغرفة بعد عدة لحظات. كانت

www.elromancia.com

في السرير، ووجهها الشاحب على وسادة عالية، وحدقت اليه بعينين متعبتين.

وقف غابرييل جانباً والخادم حمل صبينية الى السرير ووضعها عبر الفراش بعناية.

«اذا كنت تفضلين شيئاً ما مختلفاً، يا مدام..» وبدأ يرفع غطاء وعاء الشورباء.

«لا» اعترضت ماريزا.

نظر الى غابرييل: «هل أحضر لك شيئاً» احنى رأسه وانسحب بدون أن يقول كلمة أخرى.

خيشوما ماريزا ارتعشا لرائحة الشورباء. التقطت الملعقة ببطء، وكل لقمة كانت بمجهود. أرغمت نفسها على شرب نصف الشورباء. لم تستطع لمس العجة الذهبية تحت الغطاء الآخر.

كان هناك كوبان على الصبينية وابريق فضي من القهوة. نظرت ماريزا الى غابرييل: «هل تريد بعض القهوة؟».

«من فضلك» نقل كرسي غرفة النوم الى قرب السرير وجلس، ووضع ساقيه الطويلين على بعضهما. شعرت أن قربه كان نوعاً من التهديد، فرفرفت رموشها، لكنها أخفت الخوف الذي أيقظه فيها.

ارتجفت يدها وهي تناوله الكوب. أطلق غابرييل نظرة الى وجهها الشاحب.

«توقفي عن الارتجاف. أنا لست وحشاً».

نظرت ماريزا الى كوبها. لا تريد القهوة، فرائحتها جعلتها تشعر بالغثيان، لكنها التقطت الكوب وارتشفت منه.

أخذ غابرييل نفساً عميقاً ومال الى الخلف كأنه يقاوم للسيطرة على الذات. بعد لحظة شرب قهوته، بدون أن ينظر اليها. كانت هناك أمسيات عديدة عندما جلسا معاً، لا يتحدثان، ليس لديهما شيء ليقولانه. ماريزا كان لديها دائماً نفس الشعور نحوه. شعرت به الآن. ذلك جعل عقلها يتقلص كأنه مسته نار.

فجأة وضع كوبه، ماداً ذراعه الطويلة عبر طاولة الثياب ليفعل ذلك، ثم نقل الصينية ووضعها على الأرض.

ماريزا نظرت اليه، خائفة. وقف غابرييل، وأحنى جسمه الطويل بحيث أن ارتفاعه جعله أكثر تهديداً وتأثيراً. العينان الخضراوان الضيقتان حدقتا اليها.

«لماذا؟ لماذا بحق الاله تركتيني؟».

امتد الصمت بينهما كخيط مشدود. لم تكن لدى ماريزا أية فكرة ماذا تقول له. حدّقت الى يديها. كانتا شاحبتين وباردتين، والعروق الزرقاء الرفيعة عند معصمها بارزة تحت البشرة الناعمة.

«يجب أن أفعل ذلك».

«لماذا؟» بدا متوسلاً، وصوته متحشرج. كان يحدق الى يديها، أيضاً وشاهد طريقة ارتعاشهما، والرعشة الخادعة تسري عبر الأصابع النحيلة: «لماذا لم تخبريني؟».

«لقد حاولت أن أشرح في رسالتي».

«تلك الرسالة! انها لم تخبرني شيئاً، لا شيء بتاتاً. كيف استطعت أن تتركيني بدون تفسير عدا بضع كلمات لا معنى لها؟».

«كان لها معنى بالنسبة لي» قالت ماريزا، ويداها تمسكان بالشرشف.

سحب نفساً قاسياً: «أخبريني، اذن لماذا لم تكلميني وجهاً لوجه وتشرحين لي الخطأ؟».

لم تكن تستطيع التحدث معه. هما لم يتحدثا، ولم يتصلا. هما يتكلمان نفس اللغة، لكن ماريزا لم تشعر بأنهما يفهمان بعضهما، حتى عندما يستعملان كلمات تبدو مفهومة لكليهما. كلمات

كانت فقط تقريبية المعنى. المعنى يتسرب بين الكلمات، يذوب، ويختفي، كالضباب الذي يتلاشى بين القضبان الحديدية.

عندما كانت صامتة قال غابرييل في الحال: «هل هناك شخص آخر؟».

بدأت تنظر اليه: «لا».

كان يراقبها، عيناه الخضراوان قاسيتان: «لا؟ من ساعدك على الهرب؟».

«أنا فقط خرجت من البوابة» قالت ماريزا بكآبة.

تململ غابرييل بقلق، واسودّ وجهه بالانفعال: «لم تأخذي شيئاً معك» قال بعمق: «ولا شيء أعطيتك اياه، ولا حتى منديلاً. أنا دخلت هنا وأنت تركت كل شيء.. رحلت، تاركة ثيابك، ومجوهراتك، وكل شيء. كيف تعتقدين كان شعوري؟».

«لم تكن لي لكي آخذها» همست ماريزا، لم تشعر بأنها تمتلك الهدايا التي قدمها لها. جميعها تساقطت حولها كدوش ذهبي وابتعدت عنها في عدم تصديق.

نهض غابرييل وذهب الى لوحة مائية بيضاوية معلقة على الحائط. سحبها الى الأمام، فكشفت

www.elromancia.com

عن خزانة جدار صغيرة. فتح الخزانة، وأخرج علبة فضية كبيرة وأخذها اليها، وفتح الغطاء.

نظرت ماريزا بدون اكتراث الى المجوهرات الموضوعة بإتقان.

«هذه كانت لك» قال غابرييل من بين أسنانه: «لقد أعطيتها لك. معظمها صنعت خصيصاً لك».

لم تشعر بأنها كانت لها. ليس لها علاقة معها. كانت حلي توقعت أن ترتديها عندما كان غابرييل يأخذها الى مجتمع كزوجته. كانت رمزاً لمركزها. نوع من عرض خارجي بأنها كانت زوجة غابرييل رادلي، لكنها طول الوقت عرفت بداخلها بأنها لم تكن زوجته. كانت مجرد لعبة أراد الاستحواذ عليها. ملكية أخرى ليضيفها الى العدد الكبير الذي يمتلكه. من يوم زواجهما عرفت ماريزا أنه لم يكن حقيقياً. سارت الى داخل الكابوس المتلألىء وصيدت بداخله.

«قولي شيئاً ما» أمرها غابرييل، وهو يلقي علبة المجوهرات على السرير. تبعثرت محتوياتها. مدت ماريزا يدها ببطء ولملمتها وأعادتها الى العلبة وأغلقت الغطاء.

«ألا تعتقدين أنك مدينة بالتحدث معي قبل أن

ترحلي؟» أمرها غابرييل بعد لحظة.

«لم يكن هناك ما يقال».

«لا شيء؟» خرجت الكلمة بعنف، وانحنى نحوها، مع غضب مكبوت في حركة جسمه. الطويل: «أنت كنت زوجتي».

تطلعت ماريزا اليه، ورفرفت رموش عينيها: «لا، ذلك كان فقط. أنا لم أكن».

حدّق، وقد توتر وجهه: «بحق السماء ما معنى ذلك؟».

«أنا لم أكن زوجتك».

«لا تكوني مضحكة. ما الذي تتحدثين عنه؟».

«لقد كنا متزوجين شرعياً، لكنني في الواقع لم أكن زوجتك».

كانت ابتسامته غاضبة: «غامض جداً. لكن ما الذي يعنيه ذلك؟».

«لماذا تزوجتني؟» سألت ماريزا بصوت ملتهب، ونظرت بعيداً عن الوجه القاتم الغاضب.

كان هناك قليل من الصمت: «هل تعرفين لماذا؟» قال بصوت خافت مترجرج.

«لست أدري».

«لقد أظهرت لك ما فيه الكفاية» كان صوته

www.elromancia.com

عميقاً، والكلمات مشحونة بالانفعال. انحنى عمدا ولامس فمه كتفها الأبيض العاري. «لهذا السبب» تمتم.

«لا تفعل!» أنت، وارتعشت مبتعدة.

«اذا كنت تكرهين أن ألمسك، فلماذا تزوجتني؟».

لم تكن لدى ماريزا نية في الاجابة على سؤاله. هو سيسيء فهم الجواب.

«لقد ارتكبت غلطة» همست.

«غلطة!» استدار، ورأسه مرفوع في ألم غضبه، واتسعت عيناه.

«نعم، كانت غلطة لكلينا بأن نتزوج».

«اللعنة!» كان صوته غاضباً. اتجه نحو الباب وخرج، وصفعه خلفه.

أغلقت ماريزا عينيها، جسدها كله بارد كالثلج ويرتجف. التوتر ما زال يتذبذب في الغرفة الصامتة.

كانت هناك طرقة على الباب: «أدخل» همست بعد توقف لتتمالك نفسها.

دخل الخادم بنعومة: «هل اخذ الصينية، يا مدام؟».

نظرت اليه باختصار: «نعم، أشكرك».

«أنا أرى كم أنت آسفة حول الطفل الصغير، يا مدام».

«أشكرك» قالت بصوت أجش، وحاولت أن تبتسم.

«أنا متأكد بأنهم سيجدونه».

«نعم» قالت، لأنه ماذا يمكنها أن تقول غير ذلك؟ هي لا تصدق كلمات التطمين، ولا تعتقد أن الخادم دودلي يصدقها. كان جيمي غريباً بالنسبة اليه. هو لا يستطيع أن يفهم كيفية شعورها.

تنهد وخرج، وأغلق الباب بهدوء. نظرت ماريزا حول الغرفة، ثم أطفأت المصباح الذي بجانب السرير ورقدت ساكنة في الظلام.

بدأت العمل في السابعة عشرة. مدرستها وجدت لها وظيفة في لندن في بلوك مكاتب ضخم يضم مؤسسة رادلي. كانت واحدة من بين مئات الشابات اللواتي يعملن هناك، يتدافعن لدخول المبنى عند التاسعة ويتسارعن في الخروج بارتياح عند الخامسة والنصف. كانت ماريزا تطبع في قسم الطباعة، مكتبها ملاصق لمكتب فتاة أخرى، كانت تشرف عليهن امرأة شابة أنيقة نحيلة بثوب أسود. كانت

www.elromancia.com

دائماً ترتدي الأسود. لم تكن متزوجة، وكانت الفتيات يدعونها الأرملة السوداء بين أنفسهن ويكرهنها بشدة. كانت ساخرة وسليطة اللسان وتدير قسم الطباعة كالساعة.

لم تكن لدى ماريزا مشكلة في العمل. كانت هادئة ومنزوية ودائماً تعمل كل ما يطلب منها. موظفة نموذجية. بعد ستة أشهر أصبحت مؤتمنة كفاية فنقلت من قسم الطباعة وأرسلت كطابعة لتعمل في أحد المكاتب العلوية الصغيرة المتصلة بمكاتب المدراء التنفيذيين الكبار في المؤسسة.

كان العمل في الأساس هو نفسه، لكن كان هناك أشخاص أقل من حولها وكان لديها تنويع أكثر في ما تقوم به. تركت البيت وحصلت على غرفة بسرير حيث سيكون لديها خلوة أكثر ومزيد من الحرية.

لم تكن ذلك النوع من الفتيات الذي يجذب انتباه الرجال. نحيلة، محافظة، وخجولة، وتتهرب من أي اهتمام مكشوف يظهره نحوها الرجال الذي يعملون في المؤسسة.

كانت تحاول ترسيخ قدميها في لندن. مدينة كبيرة هي بمثابة مكان سهل ليضيع فيه المرء، وماريزا كانت فتاة شعرت نفسها لتكون تحت تهديد

طبيعة عالم غير حقيقي. والداها قلما أخذاها معهما حسبما تتذكر. كانا ينظران اليها بدهشة، كأنهما يتعجبان من تكون.

كانا يحبان بعضهما بقوة لدرجة أنهما ليسا بحاجة الى فريق ثالث. كانا شخصين صامتين. لا يتحدثان كثيراً مع بعضهما، لكن يبدو أن كل واحد منهما يفهم الآخر بدون كلام. ماريزا شكلت فريقاً ثالثاً مغلقاً في ذلك البيت طوال حياتها حتى قررت أخيراً أن تتركه. والداها لم يبديا استغراباً أو اهتماماً. اشتبهت بأنهما قد شعرا بالارتياح.

كانت غرفتها من الطراز القديم، ويبدو أن أثاثها قد تم شراءه بالمزاد. بدأت تستكشف لندن في أوقات فراغها. كان هناك دائماً شيء ما لتقوم به في لندن، لكن ماريزا كانت دائماً وحيدة وتشعر دائماً بالكتل البشرية الضاغطة من حولها والتي لا اتصال لديها معهم وليس لديها احساس بالمجتمع.

عندما بلغت التاسعة عشرة، انضمت الى سلسلة السكرتيرات العاملات في مكتب غابرييل رادلي الضخم. لم تشاهده عن قرب. كان يخطر عبر المكتب بدون أن يتوقف لالقاء نظرة على احدى السكرتيرات. لقد كن كذلك أشبه بالآلات. يتحدثن

www.elromancia.com

عنه، بالطبع، ويعرفن الكثير من الحقائق حول حياته الخاصة. حتى أنهن كن يلاحظن ذكر اسمه في الصحف ويناقشنه. لقد كانت مسألة فخر لمعظمهن بأنهن يعملن مباشرة تحت سيطرته، رغم أنه لا يتحدث اليهن، وجميع أوامره تأتي عبر سلسلة قيادات تنتهي عند المرأة التي تدير الجانب السكريتاري للمكتب.

كان كثيراً ما يطير عبر الأطلسي. كانت لديه طائراته الخاصة واحداها كانت دائماً على أهبة الاستعداد في حال اختياره الاقلاع الى بقعة ما من العالم.

ماريزا نادراً ما فكرت به، ما عدا معرفة الهوة بين العالم الذي يعيش فيه والعالم الذي تقيم فيه. هي حتى لم تستطع أن تتخيل ماذا يجب أن يكون عليه غابرييل رادلي، وأن تعرف أنه الشخص الأهم في ذلك البلوك الكبير من المكاتب، وأنه يدخل ويخرج من الطائرات كأنها كانت انفاقاً تحت الأرض، وهو لن يفكر بالمال لأن المال كان شيئاً ما موفراً لديه دائماً. الحقائق الثابتة لحياتها كانت كفاحاً أسبوعياً لإطعام نفسها، واكساء نفسها، ودفع ايجار غرفتها. شاهدت غابرييل عبر الزجاج، قلما

صدقت بأنه كان حقيقياً. كان بمثابة لغز بالنسبة اليها كالظلال التي تراها في الفيلم عندما تذهب الى دور السينما في المناسبات النادرة التي تستطيع تحملها.

في صبيحة أحد أيام الاثنين تأخرت عن العمل. أسرعت نحو المكتب مبللة من المطر، واندفعت نحو الأبواب الدوارة، متشوقة للاحتماء من المطر، وفي تسرعها مالت واصطدمت بغابرييل وهو يخرج من الباب. أسندها، ويداه القويتان أمسكتا بكتفيها، وتطلعت الى وجهه، مذعورة.

حدق غابرييل الى العينين الزرقاوين الواسعتين المضطربتين لعدة ثوان، ثم قال بحزم: «انظري الى أين أنت ذاهبة مالم تكوني تريدين أن يقع لك حادث» وأطلقها وهو يتكلم ويبتعد.

تابعت ماريزا سيرها ودخلت الى المبنى، مضطربة من تلك النظرة الفاحصة الضيقة التي أطلقها عليها. في غرفة المعاطف حدّقت الى نفسها في المرآة فوق المغسلة. كان شعرها مبللاً، ملتفاً حول صدغيها، وقبعة المطر البلاستيك التي ارتدتها تركت فقط مقدمة رأسها عارية. بدا وجهها شاحباً، وعيناها مليئتان بحيرة عصبية.

ما أذهلها كانت ردة فعلها. غابرييل رادلي لم يكن يعني لها شيئاً سوى أنه الرجل الذي يدفع في النهاية أجرها الأسبوعي، لكنها ما زالت تشعر باليدين الطويلتين اللتين أمسكتا بكتفيها، والبشرة حيث لامسها كانت تحترق.

لم يشاهد في المكتب لعدة أيام. «لقد طار الى نيويورك بالأمس» قالت احدى الفتيات العارفات.

«ليشاهد كابري» قالت احداهن، والجميع ضحكن.

غراميات غابرييل شكلت جزءاً من أساطيرهن الخاصة. كن يلاحقنها في الصحف والمجلات، ويحدقن الى صور النساء الجميلات بعيون ناقدة.

«لا أستطيع أن أرى ما الذي يراه فيها. لن تبقى معه طويلاً» كن يقررن، ويطردن ذوات السيقان الطويلة والشعر الأشقر بسخرية.

المرأة الأخيرة في حياته المعلنة كانت كابري غارديان، فرنسية المولد، ممثلة من صنع هوليود كان اسمها أشهر من أفلامها. رشيقة، سفسطائية، كانت صورها دائماً بثياب سهرة قصيرة جداً، أو بالمايوه البيكيني، قدرتها على التمثيل أقل أهمية من قوامها الفارع وشعرها النحاسي المتمرد الذي

يهب حول وجهها.

«أليس متزوجاً؟» سألت ماريزا ذات صباح. كانت تلك هي أول مرة تظهر فيها أي اهتمام بغابرييل وجميع الأخريات نظرن اليها، مبتهجات لعرض معرفتهن لحياته الخاصة.

«كان قد تزوج مرة» مالت كارين الى الأمام، وهي تطرق على مكتبها بأظافرها الوردية، عندما حاولت احدى الأخريات أن تتحدث.

«أنا سأخبرها. هل تعنين أنك لا تعرفين؟ حقاً؟ هذا مريع».

«يجب أنه كان مريعاً بالنسبة اليه» قالت فتاة أخرى.

«ماذا؟» سألت ماريزا.

«زوجته وطفله الصغير قتلا، في كمين بواسطة ارهابيين في أميركا الجنوبية. كانوا جميعاً يزورون عائلة زوجته. كانت من اميركا الجنوبية وكانوا أغنياء جداً، هم نوع من بارونات أصحاب المواشي، اليس كذلك؟».

«مصانع» قالت احداهن: «كانت لديهم مصانع، اليس كذلك؟».

«لا، لقد كانت مواشي وهم يعبئون اللحوم في

www.elromancia.com

مصانعهم الخاصة» قالت كارين بضجر: «حسناً، السيارة التي كانوا يقودونها وقعت في كمين وفي المعركة قتلت العائلة بكاملها. غابرييل لم يكن معهم. كان يفترض بأن يكون، لكنه طار عائداً الى انكلترا في ذلك اليوم، والا لكان قتل، أيضاً».

ماريزا استوعبت هذه المعلومات بصدمة. لم تكن تتخيل أن حياة غابرييل رادلي سيكون فيها مثل هذا العنف والمأساة. بدا حصيناً، عالمه سيارات فخمة براقة وطائرات سريعة، ونساء جميلات، وسلطة. القصة حول زوجته وطفله وضعته في بؤرة حادة بالنسبة اليها جعلته كائناً بشرياً أصيب بالأذى.

عندما ظهر ثانية في لندن شاهدته يخطر عبر المكتب بإحساس غريب من الألفة. لم يلاحظها، بالطبع. كان يخطر جنباً الى جنب مع سلسلة من الرجال يقتفون أثره، يلقي بالتعليمات اليهم من فوق كتفه، وكانوا يبتسمون.

«زاحفون» تمتمت كارين، وهي تحدق خلفهم: «انظرن الى الطريقة التي يزحفن بها خلفه! يخيفهم الى درجة التجمد».

أخاف ماريزا. كان طويلاً وقوياً، عضلات كتفيه تئن تحت القماش الناعم لبذلته.

كانت لديه أندية رياضية بنيت في أجواض المبنى. الموظفون يستطيعون أن يلعبوا الأسكواش، ويسبحون، ويتدربون على ألعاب الجمباز. بعض الفتيات يذهبن الى هناك مرة في الأسبوع. ماريزا نادراً ما رافقتهن. كانت تجد صعوبة في مصادقة الناس. لا تستطيع أن تفكر بأي شيء تقوله، خجلها كان أشبه بجدار بين نفسها وكل شخص تلتقيه.

بعد أسبوعين من ذلك الصباح الممطر عندما اصطدمت به نزلت الى الأندية الرياضية لتلعب الأسكواش. مباراة للمكتب نظمتها كارين، التي كانت منظمة عظيمة وتستطيع أن تقنع كل شخص يقع تحت بصرها ليلعب دوراً في أحد مشاريعها.

«أنا لست ماهرة في الأسكواش» احتجت ماريزا، وقد تورد وجهها.

«لسنا جميعنا ماهرات، لكن ذلك لا يمنعنا من الاستمتاع باللعبة» قالت كارين، طاردة محاولتها في التخلص: «على أي حال، أحتاج اليك لوضع الأرقام. على الأقل تستطيعين اللعب، أنت لست جاهلة تماماً».

وجدت ماريزا أن من الصعب الجدل مع كارين. كانت هناك قسوة قلب بشوشة حول الفتاة الأخرى

التي كانت ترضخ ماريزا في كل مرة. كارين مهدت طريقها عبر الحياة، مبتسمة، ومتجاهلة ما يقوله أو يفكر به أي شخص آخر. كانت شقراء، طويلة، ذات نمش في وجهها، كانت مغرمة بالألعاب الرياضية وممتازة في جميع أوقات التسلية الرياضية، لدرجة أنها رفضت تصديق أن ما تحبه وتجده سهلاً يمكن أن يكون صعباً أو غير جذاب لأي شخص آخر.

بدلت ثيابها في غرف الدوش، وسارت ماريزا على طول الرواق المطلي بلون الكريم للبحث عن قاعة الأسكواش التي ستلعب فيها بعد عشر دقائق. فتح باب وخرج غابرييل رادلي ماشياً. توقف ليسمح لماريزا باجتيازه، وهي حفضت عينيها، وتورد خداها قليلاً. سار خلفها حتى دخلت الى قاعة الأسكواش. كانت فارغة، شريكتها لم تصل بعد ولم يكن هناك أحد يستعمل القاعة، وهكذا بدأت ماريزا التدريب. كانت فتاة نشيطة لكنها لم تكن قوية. تلعب كرة المضرب بصورة أفضل من الأسكواش.

استدارت لتلتقط الكرة، تنورتها البيضاء القصيرة تأرجحت، ووجدت غابرييل رادلي واقفاً في

المدخل، يراقبها. هبط قلب ماريزا بشكل غريب كأنها كانت على أرض مخصصة للغطس. عندما استقامت بعد التقاط الكرة كان وجهها ساخناً جداً.

كانت الغرفة خالية من جديد، وغابرييل كان قد ذهب. حدقت ماريزا الى المكان الذي وقف فيه، وتعجبت ما الذي أحضره الى هنا، ولماذا حدق بتلك الطريقة الضيقة الغريبة.

لعبت لعبتها بشكل رديء وارتخت يداها. أطلقت كارين عليها ابتسامة احتقار: «حسناً، لقد حاولت. على ما أعتقد».

أخذت ماريزا دوشاً وارتدت ثيابها. وعندما كانت خارجة من مبنى المكتب صعدت سيارة متسللة من موقف السيارات تحت الأرض. سارت ماريزا على طول الرصيف المزدحم الى أقرب تقاطع. بعد لحظة سيارة ليموزين مالسة توقفت بجانبها. مذعورة، نظرت الى الرجل في مؤخرتها. أنزل النافذة.

«أدخلي» قال ببرود، وفتح لها الباب.

نظرت ماريزا حولها، مضطربة، لا تصدق أنه يعنيها، والتقت بنظرات فضولية من الأشخاص الآخرين المنتظرين تبدل الأضواء. تبدلت الأضواء

في تلك اللحظة وبدأ الناس يتدافعون عبر الطريق.

«أدخلي» كرر غابرييل رادلي بصوت متململ، وعندما حدقت، مصعوقة، اليه أضاف: «من فضلك».

دخلت ماريزا الى السيارة، عصبية لدرجة أنها ضرب رأسها وهي تصعد الى جانبه. أغلق الباب والسيارة انطلقت. ابتلعت ماريزا ريقها ونظرت الى غابرييل مترددة. بحق الاله ما الذي يريده؟.

لم يخطر ببالها أن تتخيل بأن نواياه قد تكون شخصية للغاية. شاهدت ذلك النوع من النساء اللواتي يصفر لهن غابرييل رادلي عندما يشعر بالرغبة لمرافقة أنثى. عرفت ماريزا أنها لم تكن جميلة. كانت خجولة، وغير سفسطائية، وصغيرة جداً. كانت حائرة حول ما يحدث، لكنها تخيلت أن غابرييل لديه سبب ما ليدعوها الى الانضمام اليه في السيارة.

مال الى جانبها، وراقبها ووضع رأسه في استرخاء على مسند المقعد: «ما اسمك؟».

«ماريزا» قالت بنعومة.

لم يسألها عن اسم عائلتها. كرر: «ماريزا» بصوت منخفض. كان صوته المعتاد هو ذلك الذي

كانت تسمعه في المكتب، من بعيد العميق النغمات الحازم الآمر، لكنه الآن تمتم كالدخان المذهل، شفتاه المستقيمتان قلما انفرجتا لتقولا اسمها.

«أين تقيمين؟ سنوصلك الى البيت» أضاف: «أريد التحدث اليك».

ترددت، ثم أعطته العنوان وهو أبلغه الى السائق، الذي أطرق برأسه ورفع قبعته نحوهما في مرآة القيادة.

نظر اليها غابرييل من جديد: «لقد رأيتك في نادي الألعاب الرياضية. هل تستعملينه كثيراً؟ ما رأيك به؟ لقد واجهت الكثير من المعارضة عندما اقترحته لأول مرة.. بعض أعضاء مجلس الادارة اعتقدوا أنها فكرة مضحكة. ماذا تعتقدين؟ هل هو شائع للموظفين؟».

توقفت السيارة أمام مسكنها. وضع يده على يدها فشعرت بالنار تسري في كيانها. نظرت ماريزا اليه، وهي ترتعش. ثم همت بفتح الباب لتنزل.

«دقيقة من فضلك» قال برشاقة: «هل لديك صديق؟».

هزت رأسها بالنفي، ونظرت الى غابرييل ليطلق يدها ووجدت الباب يفتح لوحده. تعثرت في

الخروج الى الرصيف، وسمعت الباب يغلق من جديد ومن ثم انطلقت السيارة المالسة.

حدّقت بعد الفوضى المذهلة. الحادث كله كان لا يصدق. أي دافع غريب جعل غابرييل رادلي يلتقطها ويوصلها الى البيت، ويسألها كل تلك الأسئلة؟ الجواب الواضح عند أي شخص آخر بأنها قد تكون رغبة في تمضية تسلية مسائية عادية، لكن ماريزا لم تكن ذلك النوع من الفتاة التي مظهرها في الحال يضع أفكاراً من ذلك النوع في رأس رجل. سارت نحو المنزل ودخلت غرفتها. أمام المرآة حدقت الى نفسها، محاولة أن ترى أي سبب لاهتمام غابرييل رادلي الغريب بها.

مرّت عدة أيام وهي ولم تشاهد غابرييل رادلي ثانية سوى من بعيد.

كانت مخطئة. فبعد عدة أيام علمت بأن غابرييل يريد أن يراها: «لقد ارتكبت غلطة في تلك اللائحة الجنوب أفريقية للسندات المالية» قيل لها بغضب: «السيد رادلي كان غاضباً. سأل من هي التي طبعتها والآن هو يريد رؤيتك بنفسه. لماذا لم تكوني أكثر حذراً؟».

عرف من طبعتها قبل أن يسأل. الأحرف الأولى

من اسمها كانت تطبع دائماً على رأس كشف الحساب جنباً الى جنب مع الأحرف الأولى من اسم الرجل المسؤول عن الأرقام الأصلية.

دخلت ماريزا الى المكتب وغابرييل اتكأ على كرسيه، ومعطفه مفتوح ويده واحدة في جيب صدريته.

«هناك غلطة في هذه الأرقام. لقد فقدة عشرة الآف جنيه في مكان ما».

«أنا آسفة، سيدي» قالت ماريزا بهدوء: «سأطبعها مرة أخرى».

مدت يدها لتتناول الورقة فوضع يده فوق يدها عمداً.

تجمدت، ونظرت الى يده. الشعر الأسود والعضلات القوية ابتلعت يدها تماماً.

«تناولي العشاء معي» قال بعمق.

نظرت، وقفز قلبها من صدرها كأنه كان ضفدعة.

«أرجوكِ» تمتم. خداه حملا لطخة حمراء داكنة من اللون وعضلة اهتزت بجانب فمه

«لماذا؟» سألت ماريزا في حيرة، وصوت ناعم.

«لأنني أكاد أفقد عقلي» قال غابرييل من بين

www.elromancia.com

أسنانه. «يجب أن أراكِ».

لم تستطع أن تصدقه. صوته الخشن حمل اتهامها، لكن ذلك بدا غير معقول. هزت ماريزا رأسها وسحبت يدها من تحت يده وابتعدت عن المكتب في سرعة عصبية ضللت خوفها.

نهض ودار حول المكتب في ثلاث خطوات. قبل أن تصل الى الباب كان هو أمامها، واتكأ عليه، وحدّق اليها بتلك العينين السوداوين.

«ليس هناك من شيء يمكنك قوله وأنا لم أقله لنفسي، لكنك كنت تلازمينني دائماً منذ أن وضعت عينيّ عليك في ذلك اليوم الممطر. لقد طرت الى نيويورك وكل مكان كنت أنظر اليه كنت أشاهد عينيك الزرقاوين الواسعتين. لقد عدت الى الوطن وها أنت هناك في مكتبي الخارجي، تطبعين مثل فأرة صغيرة وقورة، بدون أن تنظري عندما أمر قربك، متجاهلة وجودي. انني لا أستطيع أن أعد المرات التي مررت فيها عبر الغرفة بدون أمر ضروري فقط لأرى رأسك منحنياً فوق آلة الطباعة. أنت لم تنظري نحوي مرة واحدة».

كلمات التمتمة السريعة غطست في عقلها ولم يكن لها معنى.

«نعم؟» سأل، كأنه يتوسل اليها أن تقول شيئاً. هزت ماريزا رأسها بصمت.

«يجب أن أراك، وأتحدث اليك، وأكون معك. لقد صدمتني كشاحنة مسرعة وأنا لا أستطيع أن أفكّر بأي شيء اخر» وضع يده على وجهها، وداعب خديها الشاحبين: «هل تتناولين العشاء معي؟».

«لا أستطيع» رفضت ماريزا.

«ذلك هو كل ما أريده» قال غابرييل: «فقط عشاء. أنا لا أخطط لمحاولة التحدث اليك في السرير. أنا فقط أريد أن أكتشف ما هو شكلك تحت ذلك الوجه الصغير».

ترددت، محدقة اليه.

«من فضلك» همس، مبتسماً وابتسامته لفقت لها عقلها. كانت خادعة، ذاتية السخرية، متوسلة بخفوت. لقد جعلت وجهه كله يبدو مختلفاً. لقد جعل قلب ماريزا ينقلب رأساً على عقب.

تناولا العشاء في مطعم لندني هادىء. كانت ماريزا عصبية لأن ثوبها كان أقل أناقة من ثياب الزبونات الأخريات هناك. غابرييل قلما نظر اليه. جلس يتحدث اليها، ويراقب وجهها كل ثانية من الزمن، وعيناه ترفرفان الى عينيها أو تهبطان الى

الانحناءة الوردية لفمها.

سألها كل شيء عن عائلتها، ومدرستها، وصديقاتها، ومصالحها. كان لدى ماريزا القليل لتخبره عنه. كانت عادية، بعيدة عن نمط حياته، وصديقاته. بحق الاله ما الذي يراه رجل بماله وشهرته في فتاة في التاسعة عشرة التي لم تذهب الى أي مكان، وتفعل أي شيء، وليس لديها لا مال ولا جمال ساحر وكانت خجولة لدرجة أنها كانت ترغم نفسها لتنظر اليه من حين لآخر؟.

لم يحاول تقبيلها في تلك الأمسية. أوصلها بنفسه الى منزلها، وقال لها تصبحين على خير بنعومة، منتظراً حتى دخلت الى المنزل قبل أن يبتعد بسيارته.

بعد ليلتين تناولت العشاء معه. غابرييل أدار معظم الحديث، لكنه في الحقيقة لم يتكلم كثيراً. كانا حذرين، وأصواتهما منخفضة.

قبّلها في السيارة خارج منزلها. عندما شدها نحوه شعرت ماريزا بدقات قلبها تتسارع. سلمته فمها مترددة. لم يقبّلها أحد من قبل في حياتها، ولم تكن لديها فكرة ماذا تفعل.

استسلمت بين ذراعيه، فمها الناعم يرتعش. لم

تبذل أية محاولة لتبادله القبلات.

بعد أسبوع طلب أن يتزوجها. كانت ماريزا غارقة في الهلع. لم تكن تدري لماذا كانت خائفة، لكن فكرة أن تكون زوجته حولتها الى حجر.

«لا أستطيع» قالت وخرجت مسرعة من السيارة.

لحق بها غابرييل، أمسك بذراعها، وأصابعه تعض فيها.

«لماذا لا؟ لماذا لا؟» سأل: «هل هناك شخص آخر؟».

«لا» أنكرت ماريزا بغضب: «لكنني لا أستطيع الزواج منك».

«لماذا لا؟».

«أنا لست من عالمك» قالت مرتعشة.

أصبح وجهه قناعاً قاسياً صارماً. رأت ضراوة في عينيه الخضراوين، ونية حاسمة: «أنا لا يهمني ماذا تكونين ومن أنت. أنا أريد.. ويجب أن أمتلكك. لن أدعك تقولين لا لي، يا ماريزا. الى أن تصبحي لي فأنا لن أحظ لحظة سلام».

لقد استغرقه الأمر عدة أسابيع ليتغلب على مقاومتها المضطربة، المترددة، الخائفة. كان زواجهما تسعة أيام مدهشة. تنقلت ماريزا خلالها

www.elromancia.com

كشخص لا حول له ولا قوة، ووجدت الشيء كله مخيفاً لا يطاق، مع أنها خائفة جداً من عناد غابرييل هي الآن تتجادل معه. حضر والداها حفلة الزفاف لكن لم يكن لهما دور في الترتيبات. ماريزا وغابرييل انتقلا الى منزلهما في بلاكهيث لتفسير أن الزفاف يجب أن يكون على مقياس كبير وموظفو غابرييل بذلوا قصاري جهودهم لتنظيمه. الهوة بين ماريزا ووالدتها تعني أنه ليست هناك من طريقة لتناقش معها مخاوفها من الزواج. لم يكن لديها أحد تستطيع أن تثق به. لم يكن لديها حتى مكان لتهرب اليه اذا كانت لديها الشجاعة للهرب.

كان غابرييل يدفعها الى الزواج بأقصى سرعة، بالاصرار الجنوني للرجل الواقع في قبضة الشهوة العنيفة.

شهر عسلهما في برمودا كان حلماً سوريالياً لماريزا. لم تكن تصدق المحيط الاستوائي المورق أو الرغبة الشهوانية الساخنة التي أظهرها لها غابرييل. رقدت بين ذراعيه في الليل في اللامعقول المشوش.

عندما كانا هناك تلقيا النبأ بأن والدي ماريزا قتلا في تصادم مع شاحنة. ماريزا لم تبك. تلقت النبأ

بصمت محطم. طارا عائدين من أجل الجنازة. كان يوماً جافاً بارداً مع سماء داكنة تمتد فوق المقبرة عندما حدثت الجنازة. تطلعت ماريزا الى الجو الفارغ وارتجفت. شعرت بأنها وحيدة كلياً.

ذلك الشعور بالعزلة أخذ يزداد في الأشهر التالية. كان على غابرييل أن يقضي أوقاتاً طويلة بعيداً عنها. شعرت بأنها منقطعة عن الحياة في البيت الغريب الأنيق الضخم. لم تكن تدري كيف تتعامل مع الخدم، والزائرين، والأشخاص من حياة غابرييل القديمة الذين نظروا الى زوجته الشابة النحيلة الشابة بخليط من الشفقة وقلة الذوق. أدركت، رغم أنه لم يكن يقال في وجودها، أن معظم صديقاته وأصدقائه اعتبروها كنوع من دافع جنوني من جانب غابرييل، قطعة مفاجئة من حماقة سيستفيق منها يوماً ما.

هي نفسها اعتقدت أن ذلك كان صحيحاً. كان غابرييل غنياً لدرجة أنه يستطيع دائماً أن يستحوذ على ما يريده. منازله كانت محشوة بالأشياء الجميلة. سياراته الفخمة تملأ عدة مرائب. اذا شاهد شيئاً أعجبه يشتريه، بدون أن يتوقف للتفكير فيما اذا كان يحتاجه أم لا.

www.elromancia.com

شعرت ماريزا بأنها كانت واحدة من الأشياء التي اشتراها والتي يعاملها باستمتاع عندما لا يكون لديه شيء أهم ليقوم به. هما لا يستطيعان التحدث مع بعضهما؛ ليس لديهما ما يقولانه. ليس هناك من شيء مشترك بينهما.

أخذا يتخاصمان. لأن علاقتهما كانت الى حد كبير الأساس البدني فقد كان خصامهما فجائياً وعنيفاً. وجدت ماريزا نفسها تقول أشياء مريرة لاذعة التي لم تكن تتخيل أنها تستطيع أن تتفوه بها في يوم من الأيام.

رفضت أن يكون لديها طفل منه. هي في مؤخرة عقلها لم تستطع أن تنسى زوجة غابرييل الأولى والطفل الذي قتل معها، وهي خافت أن أي طفل سيكون لديها سيموت أيضاً.

لم تستطع أن تعبر عن ذلك بكلمات عندما تحداها غابرييل. حاولت أن تشرح كيف كان شعورها، لكن الخوف حجب الكلمات.

لم يفهم غابرييل مخاوفها الخاصة، والكوابيس التي كانت تلاحقها أثناء نومها في الليل. فهم فقط أنها كانت متمنعة للزواج منه، وأنها كانت متمنعة عن حمل طفله.

بعد ليلة من الشجار المرير أرغمها ويداه تركت رضوضاً على كتفيها، وماريزا تركت محرومة كلياً بذلك الاغتصاب الغاضب، لأنها خلاله شاهدت غابرييل غريباً قلقاً ذاتياً الذي اعتبرها كواحدة من ممتلكاته.

كان غابرييل قد خرج عندما استيقظت في صبيحة اليوم التالي. لقد قيل لها بأنه طار الى نيويورك. بعد عدة أيام ذكرت صحيفة أنه شوهد في ناد ليلي بصحبة كابري غارديان. رسمت ماريزا استنتاجاتها الخاصة. كتبت له رسالة باردة موجزة وبادعاء أنها ذاهبة لتتسوق هربت من مراقبة سائقها واختفت بين جماهير لندن.

كانت لديها فكرة ما غامضة في قضاء حياتها في وحدة مريرة. عندما فكّرت شاهدت صورة المستقبل. كل ذلك تغيّر بقدوم جيمي. غرقت في حياتها وصنعت واقعها أخيراً، وأعطت حياتها بعض الشكل والهدف، ملونة العالم من حولها بطريقة جديدة تماماً.

رقدت ماريزا في الغرفة المظلمة محاولة أن تنام لكنها عرفت أنها لن تنام، وتذكرت الماضي الذي كان مريراً تماماً حتى قدوم جيمي لاعطائها الأمل.

كانت خائفة دائماً بأن القدر سيصل الى تدمير كل ما أحبته.

هربت من منزل غابرييل الحريري وملكيته الحديدية فقط لتعود اليه من جديد، مواجهة احتمال عدم رؤية الشخص الوحيد الذي أحبته من بين كل العالم، والذي كان لديه نفس الحب ليعطيه لها ابتسامة جيمي عندما تحمله في الصباح، والقبضة الدافئة لذراعيه المكتنزين حول عنقها، وضحكته عندما يسليه شيء ما، وهديره عندما يزعجه شيء ما. كل هذه الأشياء غمرتها من جديد لتجعل قلبها يجفل.

«جيمي، جيمي» همست في الظلام: «أين أنت؟».

فتحت عينيها لتجد الغرفة قد امتلأت بالضوء. رفرفت عينيها، وعدلت أفكارها وذكرى جيمي عادت اليها. جلست، وصرخة مكبوتة على شفتيها، ووجدت غابرييل عند أسفل السرير يراقبها.

«أوه!» شهقت، وتقلصت.

«لا تنظري هكذا!».

عضت ماريزا على شفتها، ونظرت الى أسفل، ثم نظرت عالياً. «جيمي؟ هل هناك أي خبر؟».

هز رأسه بالنفي، الحركة مقصودة، ووجهه القاسي امتلأ بانفعال غامض.

تراخى جسم ماريزا في حزن صامت ووضعت يديها على عينيها. «لماذا لا يستطيع شخص ما أن يجده؟».

«سيجدونه» قال غابرييل، متحركاً.

شاهدته عبر أصابعها الممدودة عندما جلس على حافة السرير. باختبار لمس ذراعها، ونقل رؤوس أصابعه فوق بشرتها الناعمة.

«الأخبار أحياناً لا تكون أخباراً سارة» كانت كليشيه قاتمة، لكن كانت هناك لسعة خفيفة من الحقيقة. عندما لا تكون لديهم أخبار عن جيمي فعلى الأقل يمكنهم أن يأملوا. كانت ماريزا مستعدة لتتمسك بأية قشة.

كانت هناك صحيفة على طرف السرير. التقطها غابرييل ووضعها أمامها وفتحها: «يجب أن يكونوا قد حصلوا على الخبر من الشخصين اللذين كنت تعيشين معهما» قال، وأشار باصبعه الطويل الى الصورة التي احتلت معظم الصفحة الأمامية.

توقف قلب ماريزا ونظرت الى صورة جيمي والدموع تلسع عينيها. تذكرت اليوم الذي التقطت

فيه الصورة، والتكشيرة الكبيرة التي حدق بها اليها بينما كانت سالي تمسك يده. كان جيمي يضحك في الصورة، وقد رمى رأسه الى الوراء، وجسمه الصغير القوي يرتدي البنطلون الأبيض والقميص المطبوع بالفيلة.

«يشبهك» تمتمت. جيمي أحب طريقته الخاصة، أيضاً. هو لم يكبر وملعقة فضية في فمه. كان على ماريزا أن تكون حذرة من حيث المال. لكن جيمي عرف ما يريد، كله نفس الشيء، ويذهب اليه بنفس الاصرار الذي يظهره غابرييل.

«هل يشبهني؟» بدا صوت غابرييل أجشا، وحدق الى الصورة كأنه يحاول أن يشاهد بعض الشبه.

«لونه مختلف، لكن شكل وجهه، وطريقة نظراته، تذكرني..» قالت وعضت على شفتها، تقاوم ايقاف الدموع.

«الصحافة التقطت الخلفيات» قال غابرييل، وقد عبس وجهه كعينيه عندما انتقلتا الى القصة المطبوعة حول الصورة: «أخشى أن تسبب عاصفة في الاهتمام. انه الخبر دائماً عندما يخطف طفل، لكن طفلي يجعلها مثيرة للعواطف».

«شخص ما قد يتعرف عليه، مع أن» ماريزا

فكّرت بصوت مرتفع: «الناس قد يشاهدون الصورة، وقد يتذكرون شيئاً ما» بكل تأكيد هل ستساعد على ايجاد جيمي؟ هو يجب أن يكون في مكان ما. شخص ما يجب أن يكون قد شاهده.

«كيف استطعت ابقاءه بعيداً عني كل هذه الأشهر؟» ثار غابرييل بصوت غاضب قاس عميق: «هو ابني. كيف استطعت أن تفعلي ذلك؟».

ارتعشت شفتاها. كانت هناك أسباب عديدة لماذا أبقت ولادة جيمي سراً. لم تكن تريد العودة الى غابرييل. خشيت فكرة أن تصبح لعبة من جديد في منزل اللعب الفخم. لكنها عرفت لو أن غابرييل عرف عن جيمي فإنه سيطالب بابنه. كان بإمكانه أن يقلب السماء والأرض ليمتلكه».

كل شيء هي أحبته أخذ منها. تعلقت بجيمي بتصميم محموم.

«لماذا لم تكلميني؟» سأل غابرييل، محدقاً اليها بعينين بارزتين: «في كل مرة أوجه اليك سؤالاً تحدقين اليّ فقط بهاتين العينين الزرقاوين الغامضتين. اعتقدت مرة أنني أستطيع اكتشاف ما يجري خلف هاتين العينين، لكنك كنت تهزمينني في كل مرة. أنت لم تحاولي مرة أن تتقدمي

www.elromancia.com

نحوي، هل فعلت ذلك، يا ماريزا؟ أنت تحفظينني عند مسافة ولا تدعينني أقترب منك».

أرادت أن تخبره بأنها كانت خائفة، خائفة من اليوم عندما يتعب منها غابرييل. لم تستطع أن تخاطر بالألم الذي سيسببه لها ان هي سمحت لنفسها بالاستسلام بشكل كلي. غابرييل تزوجها لأنه كان في قبضة شهوة مكبوتة حارقة. كانت ذات عمق أو مستقبل. الكبت مات. ماريزا لا تستطيع أن تخاطر بالأمان في حب غابرييل لها.

«ألم يكن بإمكانك حتى اعلامي أنك كنت في أمان؟» سأل غابرييل بسرعة، وأصابعه تطوق ذراعها: «هل لديك أية فكرة حول ما عانيته عندما عدت الى هنا ووجدت أنك تلاشيت؟ لقد مشطت لندن كلها بحثاً عنك. وظفت مخبرين للبحث في كل مكان خطر ببالي. هل غيّرت اسمك؟».

«لا» قالت، وهزت رأسها. ذلك لم يخطر على بالي. شعرت بالأمان في ضاحية مجهولة من لندن حيث وجدت بيتاً. كان هناك أناس عديدون يعيشون من حولها، بحر مجهول من الكائنات البشرية، أسماؤها ووجوهها خارج معرفتها. شعرت بأنها كانت مختبئة، آمنة، ورقة معلقة في وسط غابة.

نوعاً ما عرفت أن غابرييل لن يجدها. كم هو عدد الأشخاص في لندن الذين يحملون اسم رادلي؟ وكما توقعت، كانت شبه معتقدة بأنها ستغير اسمها لو هي أرادت أن تبقى مفقودة.

كان يحدق اليها جانبياً: «أنت تبدين أكبر» علّق.

«أنا أكبر».

«مختلفة» قال.

«أنا لدي طفل. ذلك يغير الأشخاص» لقد كان أكثر من تغيير جسدي. لقد غيّر جيمي كل عالمها. الحب فعل ذلك.

مدّ يده ليلمسها، لكنها صرخت: «لا أريد أن تلمسني».

انفجر الغضب فيه، وتوتر جسمه معه، وعيناه تحترقان عليها. «أيتها العاهرة الصغيرة، ألم أعطك ما تريدين؟ لقد حولتني الى مجنون طوال سنتين، أتعجب أين كنت، ومع من، وماذا حدث لك، ثم بكل هدوء تقولين بأنك لا تريدينني أن ألمسك! أنا أستطيع قتلك، هل تعلمين ذلك؟».

صدّقته. الغضب العارم بداخله ظهر على وجهه المكفهر، والدم يحترق في عروقه ويداه ترتجفان بغضب.

www.elromancia.com

واجهته، خائفة لكنها مصممة على عدم اظهار خوفها، وذقنها مرفوعة في تحدي: «أنت جعلتني أعود الى هنا أنا لم أكن أريد المجيء. أنا لست باقية. وأنا لا أريد أن تضع يديك عليّ!».

التوى فم غابرييل في مرارة غاضبة: «هذا سيء للغاية. لأنني سأضع يديّ عليك وسيعجبك ذلك».

تنفس بتثاقل، ورفع رأسه وتمتم: «أنت ترغمينني على ذلك. أنا لا أستطيع أن أفهم لماذا تبعدينني. هل أنت عمياء لا تدرين ما تفعلينه بي؟».

أغمض غابرييل عينيه: «أوه، يا الهي، أنا آسف.. أنا لم أكن أنوي أن أفعل ذلك. لقد فقدت صوابي. أنت جعلتني أفقد عقلي. وجودك بين ذراعي من جديد، ألمسك، وأشم رائحة بشرتك من حولي، وبعد كل هذا تبعدينني. لقد استيقظت مئة مرة في السنتين الماضيتين من أحلام كهذا وشعرت بأنني أسحق كل شيء في المنزل».

كانت هناك طرقة على الباب، فتعجب غابرييل، ونهض في حركة سريعة غاضبة: «نعم؟».

نظر دودلي اليه من الباب بدون تأثر: «هناك شخص ما يريد مشاهدتك، سيدي».

«ليس الآن، بحق الاله» صرخ غابرييل.

دودلي لم يتحرك، لكن عيناه نظرتا الى غابرييل بمعنى صامت: «أعتقد بأنه يتوجب عليك المجيء سيدي».

تجمد غابرييل: «حسناً جداً» قال بعد توقف قصير. حدّقت ماريزا الى دودلي، وخفق قلبها، أحست بأن هذا كان شيئاً ما له علاقة بجيمي.

«ما الأمر؟» تلعثمت.

نظر دودلي اليها، وجهه هادىء: «رجل يريد رؤية السيد رادلي، مدام، هذا هو كل ما في الأمر».

غابرييل خطا نحو الباب وكلا الرجلين خرجا. قفزت ماريزا من السرير وبحثت عن قميص نومها. أول شيء وجدته معلقاً في الخزانة كان ثوباً حريرياً مع قبة من فراء الأنغوار الناعم. ارتدته بسرعة ولحقت غابرييل الى الطابق السفلي.

كانت القاعة خالية. الأنغام الناعمة لساعة الجد أعلنت ربع الساعة. سمعت ماريزا أصواتاً في المكتبة ووقفت عند الباب، مستمعة، مترددة في الدخول أم لا. قد تكون مسألة عمل محضة. فقط الغريزة حذرتها بأن هذا له علاقة باختفاء جيمي،

www.elromancia.com

وقد تكون مخطئة في ارتيابها بأن دودلي كان يخفي شيئاً ما عنها.

«كم يطلبون؟» كان غابرييل يسأل، وصوته خشن.

«خمسون ألفاً».

«ماذا؟ فقط هذه القيمة؟».

«أفكاري بالضبط، سيدي» قال الصوت الآخر، بنعومة: «الأمر غريب، اليس كذلك؟».

«هل هي محاولة؟».

«في هذه المرحلة يصعب القول. ذلك لم يخطر ببالي».

«هل هناك أي اثبات بأن الأمر كان حقيقياً؟» كان صوت غابرييل غير ثابت: «هل كانت مخابرة هاتفية؟ لا شريط تسجيل، ولا صور؟».

«فقط مخابرة هاتفية، بدون اثبات من أي نوع. اذا كان ذلك حقيقياً، فذلك سيظهر لاحقاً، واذا كان حقيقياً فإن السعر سوف يرتفع».

«تدريجياً» قال غابرييل.

كان الصوت الآخر هادئاً: «أنا سأقول هكذا. اذا كان محترفاً. من الهواة لا نستطيع أن نقول شيئاً».

«هل تعتقد بأنه قد يكون هاوياً؟».

«انها طريقة غريبة جداً للقيام بذلك. الأمر كله غريب. يبدو لي أشبه بخطف وراءه دافع. فقط عندما يكتشفون من يكون الطفل عندئذ يفكرون بالمال».

كان جسم ماريزا متصلباً وبارداً. وضعت يدها على الباب، لكن قبل أن تفتحه، قال غابرييل: «أنا لا أريد أن يصل هذا الأمر الى زوجتي. هي لا تزال تحت وقع الصدمة. هل يمكن اخفاء الأمر عن الصحف؟».

ماريزا فتحت الباب واستدار غابرييل، شحب وجهه عندما التقى عينيها الغاضبتين.

«لقد سمعت» قالت ماريزا علناً. نظرت الى الرجل الآخر، الذي كان يراقبها عن كثب في صمت. كان له وجه هادىء خالياً من الاحساس الذي يخفي أسراراً، لكنه كان دائماً حذراً، وعيناه ترفرفان على شعرها الأسود، وفستانها الأبيض، ومعظم انتباهه كان موجهاً الى وجهها، في محاولة للحكم على شخصيتها.

«ما الذي حدث؟».

«كانت هناك مخابرة هاتفية الى احدى الصحف» قال غابرييل، وانتقل تجاهها: «اجلسي، يا ماريزا»

لمس ذراعها بقلق، غير واثق تماماً كيف ستكون ردة فعلها.

«هل جيمي بخير؟ هل قالوا انه بخير؟» حدّقت الى الرجل الآخر متوسلة: «ماذا قالوا عن جيمي؟».

«اجلسي، ماريزا» توسل غابرييل.

«دعني لوحدي» انفجرت، وصوتها يرتعش: «ماذا قالوا لك عن جيمي؟» دفعت غابرييل بعيداً، وركزت عينيها على الرجل الآخر.

«نحن لسنا متأكدين بعد فيما اذا كانت المخابرة الهاتفية حقيقية. قد تكون، لكن من جهة أخرى، بعد كل هذه الدعاية، من الشائع تماماً تلقي مخابرات هاتفية من مخبولين يظهرون فقط لخلق المشاكل، وفطرتي تقول لي أن هذه مضيعة للوقت».

«لكن اذا كانت..» بدأت.

«اذا كانت حقيقية أنا سأدفع الفدية» تدخّل غابرييل: «سنستعيد جيمي لو كلّفني ذلك كل فلس أملكه».

«انه دائماً يكون من الخطأ أن تدفع لهم» قال الشرطي ببساطة. «ان الطعم الأول يجعلهم فقط

يشعرون بمزيد من الجشع».

«أنا لن أخاطر بحياة ابني» التهب غابرييل، عيناه قاسيتان وغاضبتان.

هز الرجل الآخر كتفيه: «أنا لا أستطيع منعك من دفع المال، يا سيدي، لكنني أنصحك العكس. حسب خبرتي..».

«نحن سندفع» قال غابرييل، مقاطعاً اياه بنظرة مستقيمة مميتة التي حملت تحذيراً.

«ماذا؟» سألت ماريزا، والخوف يتملكها. «ماذا كنت ستقول؟».

«لا شيء» قال غابرييل بصوت عابس. «فقط تمسكي بالايمان سوف نستعيد جيمي، مهما كلف الأمر. المال في غير محله».

هز الشرطي كتفيه من جديد، وأطلق على ماريزا نظرة سريعة فاحصة. «كما تقول، يا سيدي، لكن هل يمكنني أن أطلب اليك بأن تتعاون معنا على طول الطريق؟ حتى اذا كنت تريد أن تدفع المال نحن نريد أن نبقى على اطلاع حول أية اتصالات تجري معك. خط الهاتف مراقب، وأي اتصال مباشر معك سيكون مراقباً. مهما حدث، لا تخفي شيئاً عنا. الخطف هو جريمة خطيرة وأنت فقط

www.elromancia.com

ستشجعهم بعمل ذلك من جديد اذا ساعدتهم على الهرب في هذه المرة».

«ما الذي كنت تريد قوله سابقاً؟» كررت ماريزا عندما توقف هو عن الكلام. «شيء ما حول خبرتك؟».

نظر الرجل الى غابرييل، الذي أغمض عينيه وتنهد. بهدوء قال الشرطي: «حسب خبرتي الخاطفون نادراً ما يوفون بوعودهم».

«ما معنى ذلك؟» سألت ماريزا، رغم أنها قدرت ما يعنيه وارتعشت بعنف.

«حتى لو دفعت، فليس بالضرورة أن تستعيدين طفلك» أخبرها بلطف.

انهارت، وخلا وجهها من الدم تماماً، وغابرييل أطلق صرخة تعجب خافتة، وحملها بين ذراعيه، ورأسها الثقيل مال على كتفه. نظر غابرييل الى الشرطي بغضب قاتل.

«لماذا لا تستطيع ابقاء فمك مقفلاً؟» حمل ماريزا الى خارج الغرفة، وروبها الأبيض يجر خلفها.

وضعها غابرييل على سريرها وخرج كانت تتحرك عندما انحنى فوقها، وكوب من الماء في يده. رفعت رموشها، والعينين الزرقاوين الواسعتين

حدقتا اليه، تتوهجان بالخوف.

«ماذا ستفعل؟».

«ما يتوجب علينا عمله» قال غابرييل، وجلس الى جانبها على السرير ودس ذراعه تحت رأسها ليرفعها، وخصلات الشعر الأسود تطايرت فوق كمه.

وضع الكوب على شفتيها وشربت، وسعلت عندما ذهب بعض الماء بالطريق الخاطيء. كان قلبها يطرق بعنف داخل صدرها، لكنها شعرت بالبرودة لدرجة أن شفتيها بدتا بأن لا شعور فيهما، مخدرتين وباردتين كالثلج على الكوب.

«أنا لا أستطيع أن أحتمل ان حدث أي شيء لجيمي!».

«أنا أعلم» قال غابرييل بلطف، وأبعد الكوب ووضعه على طاولة بجانب السرير. هو حوّل جسمها بحيث تتمدد عليه، ورأسها على كتفه. يد واحدة داعبت شعرها، مقدمة لها راحة بدنية غير مطلوبة التي تقبلتها برعشة.

«هو كل ما أملك».

توترت ذراع غابرييل تحت كتفها. «سنعيده اليك»، وعدها، ويده ما زالت تداعب الشعر

الناعم، وترتب الخصلات على كتفها.

«لست أدري كيف سأعيش اذا لم أستطع رؤيته ثانية».

«هل فكرت كيف كان شعوري في السنتين الماضيتين؟» انفجر غابرييل بصوت أجش. رفع ذقنها بيد واحدة ونظر الى عينيها الواسعتين. «كل صباح كنت أنهض وأسأل نفسي كيف سأقضي يوماً آخر بدون أن ألمحك. كانت الأيام لا نهاية لها والليالي كجهنم».

«أنا آسفة» همست، وارتعش حاجباها السوداوان الناعمان. وأنا لم أكن أريد أن أجعلك تعيساً».

«كان بوسعي أن أقتلك»، قال غابرييل، وهو يهزها.

شاحبة ومرتعشة، لم تبذل جهداً لتحرير نفسها، وراقبته في هلع.

للحظات هو حدق اليها، وقرأ الخوف في وجهها، والشحوب في بشرتها، والارتعاش على شفتيها. أطلقها ووقف، مبتعداً عنها.

«من المؤسف أنك لم تظهري خلال السنتين بدلاً من الاختفاء بدون كلمة ـ لكن على الأقل كل شيء قد قيل الآن. ليست هناك من طريقة أستطيع أن

أثبت لك فيها بأنني أحبك أو أستطيع أن أجعلك تصدقين بأنني. سأستمر في حبك. لا أظن أنك تعرفين أول شيء عن الحب. الحب يشمل الثقة، وعقلك الصغير الضيق لا يبدو قادراً على ذلك» تمايل ونظر اليها ثانية ببزود. «أنا لم أكن أفكر بأنني سأكرهك، يا ماريزا، لكن في هذه اللحظة أجد أنني لا أحبك كثيراً». استدار مبتعداً، وخطا عبر الغرفة وصفع الباب خلفه، وتركها صامتة، تحدق خلفه، وهي تشعر بالغثيان.

كان هناك بعض الحقيقة في ما قاله غابرييل لها حول مشاعرها نحوه. لو أنه كان شخصاً ما التقته في عالمها الخاص، شخص ما عملت معه، شخص ما التقته في حفلة، لاستطاعت أن تتعرف عليه تدريجياً، وتتواعد معه لفترة أطول، وتتحدث اليه عن نفسها ولتعلمت أن تفهمه. ربما كانت قادرة على الايمان بحبه وتشعر بالشجاعة الكافية لتبادله الحب بدون تحفظ. لكن كل شيء حدث بسرعة فائقة وبمزيد من العنف. السرعة في شهوة غابرييل نحوها أفقدتها توازنها وتركتها مشوشة لتعرف ما شعرت به.

المسافة بين عالمها وعالمه جعلت الوضع بكامله

أكثر تعقيداً بعشرة أضعاف. كيف يمكنها أن تؤمن بحبه عندما القصص الخيالية الغرامية تتلألأ في خلفياته فتجعله مستحيلاً؟.

سحبها الى الزواج قبل أن يكون لديها وقت للتفكير، وتركت وحيدة للوقت لكي تشعر. الشهوة الجسدية بينهما كان لها نفس الزيف والبطلان. كانت دائماً خجولة جداً لتعبر عن شهوتها الخاصة، تستسلم فقط لشهوته بضعف عاجز، بينما طول الوقت تحت صمتها كانت حاقدة على استسلامها. الحقيقة في أنها خبأت أفكارها، وأنها أرغمت عواطفها، جعلها جميعها تحتشد في داخلها كجدار صخري حجب غابرييل عن رأسها وجعل ماريزا تنطوي على نفسها.

نهضت ببطء، ساقاها ضعيفتان تحتها بعد صدمات الساعة الأخيرة، وأخذت دوشاً واستعدت لترتدي ثيابها خزانة الثياب كانت تحتل جداراً واحداً في غرفة النوم وكانت مكدسة بالثياب الجميلة الباهظة الثمن التي نادراً ما ارتدتها. في الأشهر الأولى من زواجهما استمتع غابرييل في اختيار الألوان والنماذج معها، مسحوراً بانفعالها المذهول بالصالون الأنيق حيث جلسا يراقبان

استعراض عارضات الأزياء جيئة وذهاباً. وبالنظر الى الوراء، استطاعت ماريزا أن ترى أن غابرييل أمطرها بالهدايا.

طرق دودلي على الباب وسألها اذا كانت تستطيع تناول بعض الفطور.

«فقط قهوة، أشكرك» أخبرته ماريزا.

ذهب بدون تعليق. تبعته بعد لحظة ووجدت غابرييل في المكتبة، صحيفة مفتوحة على عرض المكتب، وعيناه تتركزان على صورة كبيرة لجيمي تحتل الصفحة الأولى.

نظر اليها، ورأى عينيها تضيقان وهو يتأمل الثوب الذي كانت ترتديه. هو تذكره، لكنه لم يعلق عليه لأنها اختارت هذا الثوب، ونظر ثانية الى الصحيفة.

«أنا لن أستغرب اذا كان المفتش على حق. اذا خطف جيمي وكان في أيدي مجرمين محترفين فالموضوع بكامله سيعالج بطريقة مختلفة. أظن أن هذا الطلب كان صوتياً».

ماريزا لم تكن تدري هل تأمل بأنه كان على صواب أم تصلي بأنه كان على خطأ.

«المهم هو أن أستعيده» قالت بجفاء.

رن جرس الهاتف وتجمد غابرييل. سار نحوه،

ورفعه. «نعم؟».

وقفت ماريزا، أيضاً، وكادت تصطدم بالطاولة، فتمسكت بيديها عند جانبيها. كان غابرييل يصغي بانتباه، وجهه غير مقروء.

«الأمر هكذا، اذن» قال بأنغام ثقيلة.

أخذت ماريزا نفساً مرتعشاً. استطاعت فقط أن ترى منظره الجانبي، لكنه بدا عابساً.

«حسناً، أشكرك على اعلامي» قال غابرييل. «وداعاً».

أعاد السماعة والتفت. «ماذا؟» سألت ماريزا بصوت قلما كان مسموعاً، وعيناها الزرقاوان تشتعلان عليه.

«كانت هناك مخابرة أخرى الى نفس الصحيفة. هذه المرة كانت الشرطة بانتظارها وهي اقتفت مصدرها بينما الصحيفة تركت الرجل يتحدث. المفتش كان على حق ـ لقد كانت خدعة».

جلست بعجز، وارتخى جسمها. «خدعة!» كررت. «كم هو متوحش، كم هو متوحش بشكل لا يصدقه عقل!».

«ربما مجنون ما» أخبرها غابرييل واقفاً بجانب كرسيها لكنه لم يلمسها. «لقد نصحني المفتش بأنها

ان تكون الأخيرة. نحن قد نتلقى بعض المخابرات مثلها بأنفسنا».

«لكن ما الذي تفعله الشرطة؟ هل قال؟».

«هم يفعلون كل ما يستطيعون» طمأنها غابرييل. أحنى جسمه الطويل والتقط كوب قهوتها، وناولها اياه. «حاولي الاسترخاء يا ماريزا. أنت كرزمة من الأسلاك».

«ماذا تتوقع؟ أكاد أجن!».

«مع كل تلك الدعاية هناك كل أمل بأن شخصاً ما سيتذكر رؤية جيمي. علينا أن ننتظر ونأمل».

الأمل كان غريباً بالنسبة اليها. لقد توقفت عن الأمل بأي شيء منذ فترة طويلة وهي لا تستطيع أن تتذكر بالضبط متى حدث ذلك. جيمي جعل الأمل يبدو محتملاً. لقد جلب الضحك والحياة الى عالمها الهادىء الخامل والآن هو ذهب، وتركها أسوأ مما كانت عليه من قبل. هي تستطيع فقط أن تنظر الى مستقبل ميت.

«أنا لا أستطيع الجلوس فقط والانتظار» تمتمت. «يجب أن أعرف».

سحبها وأوقفها على قدميها، وجهه مغلق في ذلك الغضب البارد، ونزل فمه في حركة عنيفة

باحثة، وأطبق على شفتيها. كانت ماريزا مذعورة جداً لتقاوم في اللحظة الأولى. ارتعش فمها بضعف تحت هجمة قبلته. أغمضت عينيها، وسمحت ليديها بتطويق عنقه وإحكام قبضتها حوله.

رفع غابرييل رأسه، وأخذ نفساً عميقاً. ماريزا فتحت عينيها، مذهولة، وهو نظر اليها بوجه متورد.

«ذلك»، قال. «كان اتصالاً حقيقياً».

التهب جسدها، أبعدته عنها، وهي تشعر بضعف غريب.

«يجب أن أذهب و...» هي لم تعرف كيف تنهي تلك الجملة. بدأتها بشكل محموم بدون أن تفكر بها. ضحك غابرييل وهي استدارت مبتعدة وخرجت مسرعة من الغرفة.

عائدة الى غرفة نومها غطست على السرير، وتلمست وجهها الساخن بكلتا يديها. ما الذي حدث الآن؟ لأول مرة بين ذراعي غابرييل هي لم تشعر بالخوف بعد اللحظة الأولى. لم تكن لديها فكرة حول ما شعرت به، فقط كان هناك نوع ما من الشعور يسري في أوصالها، كالماء المتدفق تحت الجليد، صامتاً وبعيداً عن الأنظار.

كانت العاطفة أشبه برهينة أعطيت للقدر الذي تأكدت بأنه سيكون خطيراً وكارثة. هي تزوجت اسطورة ولن تعرف اذا كانت الاسطورة موجودة في الحياة الحقيقية. الاسطورة أخذت اللحم منها. التحدث الى غابرييل، والاصغاء الى غابرييل، هي اعترفت بأنه موجود وفي نفس العالم مثلها. هو كان على حق: ذلك كان اتصالاً حقيقياً. حديثهما الطويل فتح الباب المظلم بينهما ووضعهما وجهاً لوجه.

نهضت ونظرت الى نفسها في المرآة. كل الشحوب ذهب من وجهها، وغطاه تورد عميق من حاجبيها الى فكها. عيناها بدتا محمومتين، متهيجتين بشكل وحشي، فرفرفت رموشها في يقظة قلقة.

رن جرس الهاتف في الطابق السفلي فنزلت ماريزا مسرعة، لكن الهاتف أغلق ببطء. سألت ماريزا بشكل محموم: «هل جيمي بخير؟».

«هو بخير، اذا كان هو يقول الحقيقة، فقط بخير».

«ماذا كان يقول؟ هل كان هو الرجل الذي خطف جيمي؟».

www.elromancia.com

«لا» قال غابرييل.

رن الهاتف من جديد والتقطه غابرييل. «هالو، أيها المفتش» قال بهدوء. «هل سمعت؟»..

شعرت ماريزا بالكآبة. هو وعد بأن الشرطة لن تتدخل، وهو لا يستطيع أن يخالف وعده. هما قد لا يريا جيمي ثانية. وضعت يدها على ذراع غابرييل، وهزته، ووجهها شاحب.

«لا يمكن أن تخاطر بحياة جيمي. لقد وعدت!».

أطلق عليها غابرييل نظرة قصيرة. «توقف لحظة، أيها المفتش» هو غطى فوهة السماعة والتفت نحوها. «جيمي لن يكون في خطر لثانية واحدة».

«كيف يمكن التأكد من ذلك؟».

«أنا متأكد» قال غابرييل بحزم.

«اذا حدث أي شيء لأنك لم تحافظ على كلمتك فأنا لن أسامحك» همست بمرارة.

قست عيناه: «ألا يمكن البدء بالوثوق بي حتى الآن، يا ماريزا؟» كان هناك احتقار في النظرة التي أطلقها اليها وهو يعود الى الهاتف. «هاللو، أيها المفتش. آسف على ذلك. نعم، أنا أوافق، تلك هي الطريقة التي سنلعبها».

ماريزا ترنحت على الحائط، وجهها بارد كالثلج. غابرييل سيتعاون مع الشرطة، حتى ولو كان ذلك يعني المخاطرة بحياة جيمي.

عندما أغلق الهاتف، التفت غابرييل ونظر الى دودلي. «قل لهم بأن يحضروا سيارتي».

«نعم، سيدي» قال دودلي، بدون أن يتحرك.

رفع غابرييل حاجبه. «ما الأمر؟».

«حظ سعيد، يا سيدي» قال دودلي بنغمة مرتبكة قبل أن يخرج مسرعاً.

«ماذا ستفعل؟» سألت ماريزا بصوت ضعيف جاف حالما نظر اليها غابرييل.

«أنا ذاهب لايجاد ابني» أخبرها غابرييل بحزم. نظر الى ساعته. «أريدك أن تبقي هنا».

«لا!» أجابت، وعيناها تتحداه.

«ماريزا، لا تثيري غضبي - ليس الآن. أنا لست متأكداً ما الذي سأجده وأنا لا أريدك أن تتورطي في حال اذا كان ذلك يعني اما مشكلة أو خيبة أمل».

«أريد المجيء - لي الحق في أن أعرف» ألحت.

«نحن لا ندري بعد اذا كانت هذه المرة حقيقية».

«لكن اذا كانت...».

www.elmanara.com

«اذا كانت، فسيكون من الأفضل أن تنتظري هنا بهدوء وتعقل. صدقيني، أنت فقط ستعرقلين الطريق، وربما تجدين الأمر مزعجاً جداً، اذا كان ما قيل لي صحيحاً».

«ماذا قال الرجل؟».

«هو يزعم أنه يعيش في نفس المنزل عند امرأة أظهرت طفلاً صغيراً يشبه صورة جيمي. اذا كان جيمي فهو موضع عناية، على أي حال. هذا الرجل يقول بأنه شاهده وجيمي بخير».

«لقد كنت تتحدث عن المال، مع انني» اتهمته ماريزا وجسمها متوتر. «سمعتك تقول كم؟».

«كانت هناك بطاقة سعر متصلة بالعنوان الذي يعيش فيه جيمي» قال غابرييل بجفاء. «معلوماتي ترى بوضوح فرصة لبعض المال السهل. هو يقول بأن لا علاقة له باختطاف جيمي. هو فقط يعطيني المعلومات، لكنه يريدني أن أدفع له».

«اوه، يا الهي»، تمتمت ماريزا، وأغمضت عينيها، وموجة ألم سرت في أوصالها. «كيف يمكنهم؟».

«أنت قد تسألين» قال غابرييل. «الشرطة كانت تراقب الخط، بالطبع. من الواضح أن الرجل لم

يتوقع ذلك. لكنني أعطيته كلمتي، وهناك مكافأة مقدمة للمعلومات التي تؤدي الى اكتشاف جيمي، وهكذا هو لم يرتكب جريمة. الشرطة لن تتخذ اجراءات ضده. رجال المفتش سيراقبون من مسافة آمنة حتى أعطي الاشارة، ثم هم سيتحركون على الفور ونحن واثقون بأن الرجل الذي اتصل هو حقيقي وأن جيمي في الواقع موجود في هذا العنوان».

«دعني أذهب» توسلت ماريزا، وأمسكت ذراعه بكلتا يديها ونظرت اليه بعينين متوسلتين: «أريد أن أكون معه».

«ماريزا، أنت لا تفكرين بشكل سليم. قد يكون هناك مشهد كريه جداً مع هذه المرأة. هي قد تكون مريضة، ربما عقلياً غير متوازنة، وشاردة الفكر. وعندما تصل الشرطة الله يعلم أي نوع من المشهد سيكون».

«جيمي» همست ماريزا، وهي ترتجف.

«هو لن يصاب بأذى، هم سيتأكدون من ذلك. ولا هذه المرأة ـ لكنها قد تصرخ وتبكي قبل أن يخرجوها من المنزل، وأنت سوف لن تستمتعي بذلك، أليس كذلك؟».

«جيمي سينزعج» احتجت.

«ستكون هناك شرطية. وطبيب. جيمي سيكون بخير».

نظرت ماريزا اليه غير متأكدة وغابرييل لمس خدها بيد واحدة.

«أرجوك، ماريزا، فقط افعلي كما أطلب، وانتظري هنا. سوف تستعيدين جيمي سالماً واذا كان بإمكاني أي شيء فسأقوم به».

عاد دودلي وغابرييل التفت اليه. «اعتن بالسيدة رادلي خلال غيابي».

«نعم، يا سيدي» قال دودلي، واقترب منها كأنه مستعد لأي طارىء.

انتقل غابرييل نحو الباب، وأدخل كتفيه في المعطف الثقيل الذي كان يحمله دودلي.

«الصحافة لا تزال في الخارج، يا سيدي» أخبره دودلي.

«أنا قد أقود قليلاً» قال غابرييل بمزاج عابس عندما فتح الباب. أطلق نظرة قصيرة على ماريزا قبل أن يغلقه. أصغت الى صوت المحرك. انطلقت السيارة نحو البوابة.

«هل أستطيع أن أحضر لك أي شيء، مدام؟»

سأل دودلي وهو يحوم حولها بقلق.

هزت رأسها، وانتقلت الى غرفة الجلوس. الساعة الذهبية الصغيرة دقت بنعومة في الغرفة. خيم الظلام، اسدل دودلي الستائر، مبعداً برد الشتاء، والمصباح أعطى الغرفة دفئاً جديداً.

«هل أنت متأكدة بأنك لا تريدين بعض الشاي، يا مدام؟» سألها دودلي، وهو يراقبها تحوم بقلق حول الغرفة.

نظرت اليه: «اوه، نعم، نعم، من فضلك» انه سيكون مهنة ما، شيء ما يبعد عن ذهنها ما كان يجري.

عندما عاد دودلي الحركات الخفيفة أزعجتها فنظرت حولها، وضع صينية الشاي وعليها بعض الكعك، وانحنى نحوها وخرج.

حاولت أن تشغل نفسها ففتحت جهاز التلفزيون. عندما عاد دودلي ليأخذ الصينية كان كل اهتمامها متجهاً نحو جيمي.

«أعتقد بأنني سأحاول أن أنام» كذبت. «هل بإمكانك أن تطفيء التلفزيون، يا دودلي؟».

«بالطبع، يا مدام» قال. أراحت رأسها على مسند، ودودلي سار على رؤوس أصابعه نحو الباب

www.elromancia.com

كانها نائمة. أغلق الباب والغرفة غرقت في الصمت. نامت قليلاً جداً الليلة الماضية. كان جسمها يؤلمها من الاعياء وهي شعرت بأنها تغرق في نوع من الغيبوبة اليقظة. دقت الساعة فارتجفت، وقفزت أعصابها. نظرت الى الساعة. لقد مضت ساعة على ذهاب غابرييل، أدركت بصدمة.

ماذا يفعل؟ لماذا لم يعد؟ أنزلت ساقيها عن الصوفا، وأبعدت المسند، ونظرت حولها.

سمعت طرقة خفيفة على الباب، ودخل دودلي. «كم هي الساعة بالضبط، من فضلك؟».

«السادسة، يا مدام» أخبرها دودلي. «هل تريدين بعض الكوكتيل؟ أو الشيري؟».

«كوكتيل، من فضلك» قالت أي شيء لتجعله يخرج ويتركها لوحدها.

انسحب، وعاد بسرعة وهو يحمل صينية عليها الكوكتيل. قام بعمل عظيم وهو يصبه لها، وراقبها وهي ترتشفه بينما هو يراقب وجهها باهتمام كأنه يراقب تحفة فنية.

صوت سيارة جعل يدها ترتجف، فقفز السائل المثلج على جانب الكوب عندما مال، وانسكب

على تنورتها. تمتم دودلي، وهو يطقطق بلسانه. دفعته ماريزا عندما حاول تجفيف تنورتها ووقفت على قدميها وخرجت من الغرفة قبل أن يقف محرك السيارة.

فتحت الباب، ونظرت في الظلام، والنور يتدفق خلفها. عيناها الخائفتان تركزتا على السيارة والشخص الذي خرج. كان السائق يسرع ليدور حولها ويفتح الباب، لكن غابرييل كان قد استقام، والتفت ليدور.

توقف قلب ماريزا. «جيمي!».

هبطت الدرجات بسرعة، تبكي، والدموع تنهمر على وجهها. وضع غابرييل الجسم الصغير الملفوف بالقماش بين ذراعيها المفتوحين وهي حملت جيمي بإحكام، وغمرت قمة رأسه بالقبلات، وجسمها يرتعش بالدموع.

وضع غابرييل ذراعاً حولها، وحثها على صعود الدرجات الى داخل البيت. انفجرت الأضواء خلفهما من مكان ما مثل قصف المدفعية. ماريزا قلما لاحظتهم، لكن غابرييل دفعها الى داخل المنزل وأغلق الباب الأمامي.

«مصورون مخبولون» قال لدودلي. «لقد حاولوا

www.elromancia.com

أن يتسلقوا على ظهر السيارة عندما عبرنا البوابة».

فكت ماريزا جيمي من الحرام الصوفي الذي كان بلفه. وجهه المتورد، المذهول، الناعس حدق اليها. كان في بيجاما زرقاء دافئة وحذاء فرائي أزرق صغير على صورة دب في مقدمته.

«ماما» قال، متعرفاً عليها مع ابتسامة ناعسة.

حاولت أن تبتسم له، فارتعشت شفتاها، ولم تستطع. الدموع الساخنة المنسكبة على وجهها لم تتوقف، رغم أنها حاولت ايقافها، بمسحها بيدها عن عينيها.

قالت لنفسها بأنها يجب أن لا تزعج جيمي. هو يجب أن لا يقلق برؤيتها تبكي. أوقفي الدموع! وبخت نفسها. لكن الدموع ظلت تنهمر كشلالات نياغارا. شعرت بأنها تبكي كثيراً لعودة جيمي سالماً.

«السرير لهذا الرجل الصغير، على ما أعتقد» قال غابرييل بجانبها. «هل تسمحين لي بأن أحمله الى الطابق العلوي؟».

ماريزا هزت رأسها، وأحكمت ذراعيها حول جيمي. هي لن تتخلى عنه لأي شخص آخر الليلة.

«هو كان نائماً في مهد» قال غابرييل بهدوء. «هو

متعب جداً».

تثاءب جيمي، وانفرج وجهه بطريقة طفولية. مراقبة له، بدأت ماريزا تضحك عبر دموعها، وفوقها أحنى غابرييل ودودلي رأسيهما ينظران الى بعضهما. في المدخل خلفهما وقفت السيدة دودلي تحدق اليهم.

صعدت ماريزا الى الطابق العلوي ووضعت جيمي في سريرها. العينان مغلقتان، أدار وجهه، ليريح نفسه في وضعه المفضل.

وقفت ماريزا الى جانب السرير، تصغي. لقد كان أجمل صوت سمعته. هي تستطيع أن تقف طول الليل هناك تصغي الى الخنّة الناعمة التي يصنعها جيمي عندما يكون نائماً. غابرييل لمس ذراعها، وأشار الى الباب، لكنها هزت رأسها. ليست هناك من طريقة تجعلها تغادر هذه الغرفة.

كان فم غابرييل كئيباً. «هو سيكون على ما يرام. هو سريع النوم وسعيد تماماً».

«سأبقى لفترة، الأمر سيان».

«لا يمكنك أن تراقبيه أربعاً وعشرين ساعة في اليوم بدون أن تجعليه يشعر عصبياً مثلك» قال غابرييل.

www.elromancia.com

«هو قد يقع عن السرير» رتبت الوسائد على كل جانب منه، لكنها ما زالت تشعر بالقلق خوفاً من أن يتدحرج ويسقط.

«اذن سنجعل السيدة دودلي تجلس بجانبه لفترة» أخبرها غابرييل. «هي ستكون سعيدة» خرج وماريزا جلست على حافة السرير، تراقب تنفس الصغير، المدفون نصفه تحت الشراشف، وكانت يد جيمي ملتفة بجانب وجهه، وهي انحنت ولمستها بخفة بأصبع واحد. هو لم يتحرك. نام جيمي مثل كتلة خشبية. بينما هي كانت نصف خائفة، وهو ربما احتار قليلاً حول محيطه الغريب، والوجه غير المألوف، لكنها لم تفكر بأنه سيصاب بأية صدمة. لو حدث ذلك، لكان قد أظهرها. لقد كانت كلها مغامرة غريبة بالنسبة اليه؛ في بضعة أيام هو سينسى كل شيء.

عاد غابرييل مع السيدة دودلي التي كانت تلهث في أثره. هي أعطت ماريزا ابتسامة دامعة. فوجئت ماريزا برؤية العيون المبللة.

«اوه، أنا سعيدة» همست السيدة دودلي وألقت نظرة سريعة الى السرير. «هو بخير، أليس كذلك؟ سأبقى معه. هو سيكون في أمان معي».

«أشكرك» قالت ماريزا، وشعور موخز بداخلها. من المضحك أن تشعر بنوع من الحنق. السيدة دودلي كانت لطيفة جداً، لكن ماريزا في الواقع لا تريد أن تترك جيمي تحت رعايتها. هي لا تريد أن تترك جيمي وحيداً مرة أخرى لثانية واحدة. ترددت، وغابرييل أمسك ذراعها بقبضة قوية وأدارها نحو الباب.

في الخارج على الممشى حدقت اليه بغضب. هو أرغمها على ترك ابنها مع غريبة من جديد.

«من الأفضل أن أبقى» قالت بصوت منخفض.

«أنا أدرك قلقك، لكنك مفرطة جداً الليلة ـ انت بحاجة الى الراحة كيلا تفقدي عقلك».

«أنا بخير» فركت يدها عبر وجهها. الدموع توقفت وهي شعرت بارتعاش شديد، ساقاها غير ثابتتين عندما سمحت لغابرييل بأن يقودها لتهبط الدرجات.

«ما يحتاجه كلانا هو مشروب» أخبرها، وانتقل الى طاولة عليها دورق من الكريستال. صبّ ويسكي لنفسه، وبراندي لها.

«أنا لا أريده» قالت بخشونة، ولم تتناول الكوب.

«أنت بحاجة اليه» أخبرها، ولف أصابعها بحزم حول الكوب. رفعه الى فمها. «خذي رشفة».

ابتلعت، وارتجفت. «سافل!».

«ستعتادين على المذاق» وقف أمامها، كأسه في يده، وحدق الى السائل العنبري للحظة قبل أن يرفعه الى شفتيه وابتلع بعض الويسكي. ماريزا تعجبت بماذا كان يفكر؛ وجهه الساخر القاسي لم يعطها دليلاً.

دار البراندي في عروقها، وأعطاها حرارة لم تكن لديها، فاسترخت عضلاتها من التوتر الذي كان يمسك بها.

«ما الذي حدث؟» سألت بهدوء.

نظر غابرييل الى كأسه، ولوى فمه. «لم يحدث الكثير. كان كل شيء سريعاً جداً، وذكياً جداً. التقيت بالرجل خارج ملهى محلي صغير، حسب الاتفاق. كان يقول الحقيقة. أعطيته بعض المال، وهو أعطاني العنوان. الشرطة تدخلت ـ لحقوا بي وكانوا يراقبون عبر الطريق».

«أنت وعدته!».

«وهو لن يقع في أية مشكلة. هو قد يسمع بعض الوقائع من المفتش، لكن لن تكون هناك

اتهامات».

«والمرأة؟» سألت ماريزا، بصوت مرتعش. «أي نوع من النساء هي كانت؟».

نظر غابرييل اليها وأنهى الويسكي في جرعة واحدة. «امرأة مفجوعة نوعاً ما. شعرت بالأسى حيالها. من الواضح أنه كان لديها طفل صغير بنفس سن جيمي، لكنه توفي السنة الماضية، وزوجها تركها مع امرأة أخرى منذ شهر».

«اوه، لا!» تمتمت ماريزا. هي تعجبت أي نوع من المرأة هي كانت لتستطيع سرقة طفلها، لكنها لم تكن لديها أية فكرة عن الأسباب التي تدعو أي شخص للقيام بمثل هذا العمل.

«هي كانت بكل هدوء فقد فقدت صوابها، على ما أعتقد» قال غابرييل انتقل الى الدورق وصب لنفسه كأساً آخر. ماريزا راقبته، وهي تعجب اذا كان هو أكثر انزعاجاً مما سمح لها بأن ترى.

كانت ماريزا تفكر، وقد تقطب حاجباها. «البيجاما، والحذاء ـ هل كانا...؟».

«لطفلها الصغير» قال غابرييل بفظاظة.

«اوه» أغلقت ماريزا عينيها. «امرأة مسكينة!» هي استعادت جيمي سالماً؛ هي تستطيع أن تشعر

www.elromancia.com

بالشفقة. ما هي ظروف تلك المرأة؟ «ما الذي سيحدث لها؟».

«لا شيء» قال غابرييل بصوت عميق. «قليل من المساعدة النفسية، هذا كل شيء. هي مريضة - هي بحاجة الى المساعدة، وبدون عقوبة. هي خطفت جيمي في لحظة اندفاع. هي شاهدته خارج المحل، هي قالت. هو كان يبكي وهي لم تكن تدري ما الذي حدث لها، هي قالت» كان صوته غاضباً. «عاهرة فقيرة» هو تمتم. «أنا نفسي شعرت بالمرض».

«ألم تكن الشرطة...».

«قاسية معها؟ لا» قال، ورفع رأسه لينظر اليها. «كان هناك طبيب وشرطية. أخذاها بيداً في سيارة اسعاف. ألقى الطبيب نظرة سريعة على جيمي - نحن لا نريد ازعاجه أكثر مما نستطيع. لقد كان جيمي بخير».

بدأ جسم ماريزا يشعر بالدفء والثقل؛ البراندي قام بعمله. رقدت على الصوفا ووضعت رأسها على المسند، وأغمضت عينيها. أنا متعبة، فكرت. أنا لا أعتقد بأنني كنت متعبة هكذا في حياتي. أستطيع أن أنام لمائة سنة، مثل الأميرة التي وخزت

اصبعها، لكني يجب أن لا أنام بعد. يجب أن أصعد الى الطابق العلوي عند جيمي. تراخى ذراعها وسقط على جسمها.

وقف غابرييل يراقبها ثم انحنى وحملها الى فوق، ورأسها يتدلى على ذراعه. نقلها الى الطابق العلوي.

عبر الأيام القليلة التالية الايقاع المضطرب لعقل ماريزا بدأ يعود الى طبيعته. وجود جيمي جعل الأمور أكثر سهولة. بالقبول المبتهج للطفولة، هو تكيف مع محيطه الجديد وهي سرعان ما وجدت بشاشته العادية. جيمي لم يجد شيئاً غريباً في العيش في منزل كبير بدلاً من الشقة الصغيرة فوق المرآب. هو استيقظ، ولعب، وأكل وجباته وذهب الى النوم بدون أن يبدي أقل دهشة بأن كل شيء من حوله كان مختلفاً تماماً.

غابرييل استعاد مهده وكل ألعابه وثيابه الى المنزل. ماريزا لم تذهب معه، لكنها تحدثت الى سالي عبر الهاتف. لقد ألمها أن نغمة سالي كانت حذرة أكثر مما كانت ودية. لقد كانت بكل وضوح صدمة لسالي لتكتشف الحقيقة حول ماضي ماريزا. بالتحدث اليها، التقطت ماريزا بعض التلميحات

التي لا تقال بأن سالي كانت تعتقد دائماً أن جيمي كان ابناً غير شرعي. قصة ماريزا عن الزوج الذي هربت معه لم تكن في الواقع قابلة للتصديق.

الارتباك، والفضول، والانسحاب جميعها خطرت لها في صوت سالي الحذر.

لم تقم ماريزا باعداد أية خطط للمستقبل؛ كل عقلها كان مكرساً لاستعادة جيمي. بالتحدث الى سالي، هي أدركت، مع ذلك، أنها لا تستطيع العودة الى هناك. كل ذلك الجزء من حياتها قد انتهى. سالي كانت سترتبك لو أن ماريزا اقترحت العودة. غابرييل رادلي كان بعيداً جداً عن ذلك المنزل الصغير في الضاحية اللندنية المزدحمة. سالي لا تستطيع أن تتكيف مع التقبل العادي لجيمي. لقد طردت ماريزا من عالم سالي ولا سبيل للعودة.

«أنا آسفة، يا سالي» قالت عندما كلتاهما غرقتا في الصمت، فالأشياء التي لا تقال بينهما خنقت محادثتهما.

سالي لم تدعي عدم الفهم. «انس الموضوع، يا حبيبتي»، قالت بجفاء. «لقد كان جميلاً أن تكوني عندي أنت وجيمي. كلانا جو وأنا نأمل أن تنجحي

هذه المرة» توقفت ثم أضافت: «أنا أعجبت به ـ زوجك. هو يبدو رجلاً جميلاً».

تورد خدا ماريزا. هي لا تريد التحدث عن غابرييل. ربما سالي التقطت ذلك، أيضاً، لأنها غيرت الموضوع وباختصار بعد ذلك قالت وداعاً. ماريزا وضعت السماعة، وشعرت بالكآبة. النهاية لشيء ما تكون دائماً حزينة حتى عندما تكون هناك بداية لشيء ما أفضل. الطبيعية البشرية لديها كراهية للنهاية.

تلك الليلة حلمت أنها كانت في غرفة الانتظار لمحطة سكة الحديد. في الخارج استطاعت أن تسمع صفير القطارات، وصرير العجلات، لكنها لم تكن تصغي اليها. كانت تنتظر، رغم أنها لم تكن تدري تنتظر ماذا، فتوتر جسمها بترقب محموم. حدقت نحو المدخل. ماريزا لم تكن تدري من كانت تنتظر ـ لا اسم، ولا وجه رافق تلك الاثارة. ذلك الحلم بقي معها عندما استيقظت. لقد كان توتراً عميقاً غريباً لانفعالاتها الخاصة التي بقيت معها.

هربها من الانفعال تركها معلقة في فضاء بارد لسنوات. ذكرى مشاعرها الخاصة خلال ذلك الحلم

لاحقتها.

لكن ما الذي يعنيه أن نحتم حول الانتظار في محطة لسكة الحديد لشخص ما لا نستطيع تسميته؟ أي مغزى هو محطة سكة الحديد، بحق الاله؟.

هو المكان الذي يبدأ فيه المرء برحلة، فكرت. أو المكان الذي تنتهي فيه. هل أيهما يهم؟ هل هي الرحلة التي تهم؟ هل كان عقلها يشير اليها بأنها وصلت الى نقطة فاصلة في حياتها؟.

المشكلة مع الطريقة التي يختار اللاوعي استعمالها في الاتصال مع العقل الواعي كانت أن تلك الرموز الضبابية بعيدة عن البساطة في حل تلك الرموز.

كان أسبوعاً قبل عيد الميلاد. المنزل الأنيق تعرض لتحول مفاجيء عندما دودلي، وزوجته، وماريزا زينوا شجرة عيد ميلاد كبيرة ووضعوا الزينة المتلألئة حول غرف الطابق الأرضي. جلس جيمي على الأرض، قدماه الورديتان عاريتان، يشد السلسلة الورقية المعددة الألوان بطريقة فكرية مركزة. لقد استحسن الزينة، رغم أن اهتمامه الرئيسي كان محاولة أكل بعضها.

«ليس في فمك يا حبيبي» أخبرته ماريزا، ونتشت

منه نجمة حمراء كبيرة من الالومنيوم.

«لقد حان وقت الشاي» قالت السيدة دودلي، وهي تنظر الى الساعة. «هل تريدين أن أخذه الى المطبخ، يا سيدة رادلي؟ لكي أعطيك فترة استراحة».

فتحت ماريزا فمها لترفض عندما التقت عين السيدة دودلي وابتسمت. «أشكرك».

حمل جيمي بعيداً في انتصار، ووضع اصبعه في اذن السيدة دودلي. كانت ماريزا تحتفظ به لنفسها بصورة كلية خلال الأسبوع الماضي. كانت بحاجة للنظر اليه ورؤيته كل مرة.

كانت ماريزا ترتدي جينز وكنزة وهي تنظم شجرة عيد الميلاد. نظرت الى ساعتها، فقررت بأنه يتوجب عليها الصعود وتبديل ثيابها. كان جيمي قد تأخر في تناول الشاي. الطقوس اليومية انتهت بزينة عيد الميلاد وهم قد تأخروا حوالي ساعة. عادة في هذا الوقت يكون جيمي في حمامه يغطس غواصته بأصبع قدمه بينما تحاول ماريزا أن تغسل له ظهره.

كانت قد وصلت عند أسفل السلم عندما سمعت صوت السيارة. توقفت، وراقبت الباب يفتح. دخل قوام غابرييل الطويل. ريح الشتاء نفشت شعره

www.elromancia.com

الأسود وهو مشطه بأصابعه، وحدق اليها.

«هاللو، هل يأخذ جيمي حمامه الآن؟».

«هو في المطبخ يتناول الشاي» شعرت بوعي ذاتي، مدركة الطريقة التي كان ينظر فيها الى قوامها النحيل في الجينز. هما شاهدا بعضهما قليلاً كل ذلك الأسبوع.

«لقد وصلت في الوقت المناسب للإحتفال، اذن» قال، ووضع حقيبته على الطاولة ونزع معطفه.

«لقد عدت باكراً. هل الأزمة انتهت؟».

«ذهبت مع الرياح» قال بجفاء. «السوق بدأ يعود الى طبيعته، مما يعطيني الوقت للتعرف على ابني أخيراً».

«السيدة دودلي تعتني به» ترددت ماريزا، متعجبة هل لا تدري ماذا تقول لهذا الشخص الغريب الذي كان زوجها.

«حان الوقت لتناول مشروب، اذن» تمتم، ولوح بيده نحو غرفة الجلوس.

جلست مكرهة، ويداها على ركبتيها، تتأمل قدميها في حذائها الأسود الصغير.

«لقد تلقيت دعوات عديدة» قال غابرييل.

«أية دعوات؟».

«لدي دعوات عديدة» قال. «حفلات عيد الميلاد وحفلات رأس السنة، والله يعلم ماذا أيضاً. لم تسنح لي الفرصة لأقرر أيها أقبل. لقد كنت مشغولاً جداً».

بدت ماريزا مشدوهة. «أنا لا أريد الذهاب الى أية حفلات!» هي كرهتها، الاحداث الانيقة الخالية من الحياة التي جرها اليها غابرييل خلال أشهر وجودهما معاً. كان أصدقاؤه وصديقاته مؤدبين، ومحتقرين. وصولهما معاً بدا دائماً الاشارة لتبادل الابتسامات ورفع الحواجب. هي لن تمر بهذه التجربة من جديد.

«أنا لن أذهب الى أي منها» أضافت، في حال هو أساء فهمها. «جميع أصدقائك مضجرين، وممليين. يتجاهلونني، ويشخطون بي، ويتحدثون عني من وراء ظهري».

وقفت ماريزا على قدميها. «من الأفضل أن أذهب وأبدل ثيابي» تلعثمت.

صعد الى الحمام فيما بعد عندما كان جيمي في حمامه، يرشق المياه بيد واحدة، بغض النظر عن احتجاجات ماريزا. رفع غابرييل كمي قميصه وقرفص بجانب الحمام وبدأ يلعب بالغواصة. نظر

www.elromancia.com

جيمي اليه بارتياب. هو لم يكن متأكداً من هذا الغريب الطويل، وظل يحدق الى غابرييل، ثم عمداً وضع اصبعاً في عينه.

أبعد اصبعه، وقال غابرييل: «لماذا لدي شعور بأنه لا يحبني؟».

«هو يستكشف عيون الناس وآذانهم طول الوقت» أخبرته ماريزا، مدافعة قليلاً.

«انت شقي صغير» غابرييل أخبر جيمي.

هو حمل جيمي الى غرفة صغيرة بجانب غرفة ماريزا التي تحولت الى غرفة حضانة. تمدد جيمي في مهده، ودبه بجانبه. انحنت ماريزا وقبلته واتجهت نحو الباب. وقف غابرييل ينظر الى ابنه، وجهه لا يقرأ، ثم لحق بها.

«ماريزا، لست أدري ما الذي يبعدك عني، لكنني أعرف أنك تريدينني. لقد عرفت ذلك منذ أيام».

«أنا لا أريد أن أكون واحدة من ممتلكات رادلي» قالت، وهي تتمنى لو تستطيع تجاهل مداعبة يده. لف يده حول خصرها وشدها نحوه.

«انس أن اسمي هو رادلي. انس عائلتي. انس جيمي، انس العالم كله» أمال ذقنها ونظر في عينيها الزرقاوين. «انظري لي، يا حبيبتي. الآن ـ كوني

صادقة مع نفسك ومعي. اتركي كل شيء عدانا، هل يمكنك أن تنكري بأنك لا تريدينني؟».

ابتلعت ريقها، وكان حلقها جافاً. «أنت لم تكن عادلاً».

ضحك بنعومة. «الحب ليس مسألة عدالة. ليس هناك عدل في الحب فقط اجابة على سؤال».

تراخت ماريزا، جسمها ضعيف ومستسلم. مالت الى الامام، وتركت وجهها يرتاح على كتفه، وشعرت بالقوة المريحة تحت خدها.

«أخبريني بصدق أنك تريدينني، يا ماريزا».

«لعنة الله عليك!» تنهدت ماريزا.

«قوليها ثانية» أمرها غابرييل، وهو يراقبها بحذر.

«أنا أريدك!» صرخت.

بدأ غابرييل يضحك. «أخيراً!» ابتسم، ورفعها بين ذراعيه.